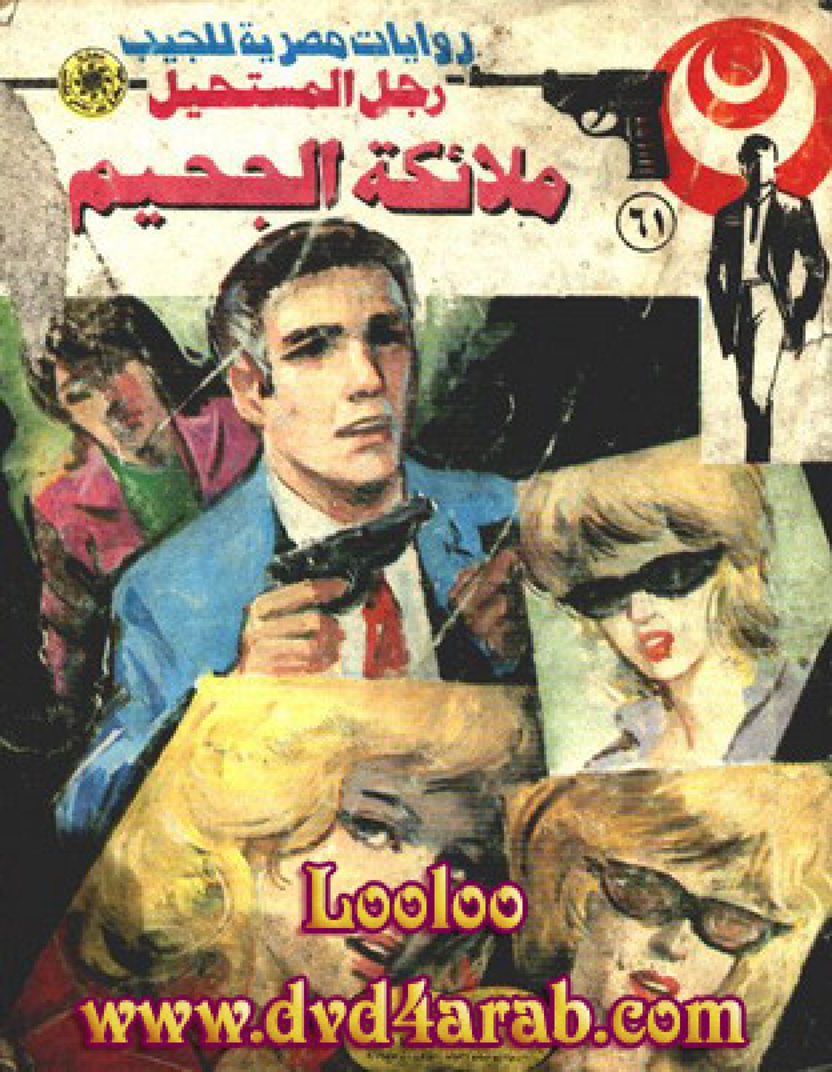

روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل
ملائكة الجحيم
٦١
Loolo
www.dvd4arab.com

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات ..
ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ ــ المحاضرة ..

« هل تعلم مَنْ سيلقى محاضرة اليوم ؟ » .

نطق الملازم الشاب ، الذى يرتدى زيًّا مدنيًّا ، بهذه العبارة فى أذن زميله همسًا ، ولكن الشغف والانبهار ، المطلّين من عينيه ، دفعا زميله إلى أن يسأله فى لهفة :

ــ مَنْ ؟

اقترب الأوّل بشفتيه أكثر ، من أذنىْ زميله ، وقال فى لهجة تحمل كل الاحترام والتقدير :

ــ المقدّم (أدهم صبرى) .

اتّسعت عينا زميله فى دهشة ، وهو يهتف فى انبهار :

ــ الأسطورة ؟!.. يا إلهى !!.. إننى أحلم منذ التحاقى بالجيش ، بمقابلة هذا الرجل ، إن مغامراته ، التى يتهامسون بها ، تجعلنى ألهث من الانفعال .. إنهم يقولون إنه يمتلك قدرات خرافيّة .

عقد زميله حاجبيه ، وهو يغمغم :

ــ إنه ضابط مخابرات رائع ولا شك ، ولكننى أظنهم يبالغون فى وصف قدراته ، فلا يوجد مخلوق يمكنه أن يجيد كل هذه المهارات ، وهو لم يبلغ الأربعين بعد .

كان الاثنان يحملان رتبة (ملازم أول) ، وإن ارتدى كل منهما زيًا مدنيًا ، ووقفا في ساحة مدرسة قديمة ، لم تعد تستخدم منذ سنوات ، ولا تحمل أية لافتة مميّزة ، على الرغم من كثرة المتردّدين عليها ، ممن يميّزهم الهدوء والتهذيب الشديدان ، والذين أثاروا فضول سكّان المنطقة في البداية ، حينما كانوا يتدلفون إلى المبنى القديم ، حيث يسود الصمت التام لساعات ، قبل أن يغادروا المبنى في هدوء ، وتحملهم سياراتهم بعيدًا ، ثم لم يلبث شخص ما ، يصعب تحديده في الوقت الحالي أن أشاع أن تلك المدرسة القديمة تستخدم لعقد بعض الدوْرات التدريبيّة ، الخاصّة بإداريّات الوظائف الحكوميّة ، لبعض الموظفين الجُدد ، وهنا بدأ فضول سكّان المنطقة يتلاشى تدريجيًا ، حتى لم يعد أحدهم يلتفت إلى هؤلاء الموظفين ، الذين يتبدّلون كل بضعة أشهر ..

ولم يخطر ببال أحد ، طوال تلك السنوات ، أن هؤلاء الموظفين ليسوا إلا بعض الضباط الشبّان ، من أسلحة الجيش المختلفة ، الذين سيتم تدريبهم على أعمال المخابرات ، في تلك المدرسة القديمة ، التي أطلق المسئولون عليها اسم (مدرسة المخابرات) ..

وفي ذلك اليوم كان هناك عشرة ضباط ، كلهم من رتبة (ملازم أول) ، ينتظرون بثيابهم المدنيّة قدوم ذلك الضابط المحنّك ، الذي سيلقي عليهم محاضرة خاصّة ، عن فن التنكّر والتخفّي ، وسرى بينهم اسم (أدهم صبري) كالنار في الهشيم ، فباتوا جميعًا يترقّبون قدومه بفارغ الصبر ، وعيونهم معلّقة ببوّابة المدرسة القديمة ..

ولم تكد عقارب الساعة تشير إلى تمام السابعة والنصف صباحًا ، ودون ثانية واحدة إضافية ، حتى عبرت بوّابة (مدرسة المخابرات) سيّارة عاديّة ، من طراز (نصر ١٢٨) ، الشائعة الاستعمال في مصر ، وتعلّقت بها أنظار الجميع ، وهي تجتاز الفناء ، وتتوقّف أمام المبنى ، ويهبط منها رجل وسيم الملامح ، هادئ ، باسم الثغر ، واضح القوّة والعُنفوان ، استقبل نظراتهم الملتهفة في هدوء ، وبابتسامة ودود ، وهو يقول :

— صباح الخير يا رجال .. سنبدأ محاضرتنا على الفور .

ثم استدار ليدخل إلى المبنى ، وتبعه الضباط العشرة في خطوات سريعة ، حتى استقرّوا داخل قاعة محاضرات فاخرة ، مجهّزة بأحدث الوسائل ، كانت تتناقض في شدة مع مظهر المبنى الخارجي ..

وبدأ (أدهم) يلقى محاضرته ..
كان بطبعه يكره تلك الأعمال الروتينية والإدارية ، إلا أن محاضرته كانت رائعة ، ووجدت طريقها فى سهولة إلى عقول وأعماق الضبّاط العشرة ، الذين تابعوا عرضه لوسائل التخفّى والتنكّر فى شغف واهتمام ، وهم يتطلّعون إليه بين حين وآخر فى انبهار ، حتى انتهى من محاضرته بعد ثلاث ساعات كاملة ، وابتسم وهو يقول :

— وهكذا نكون قد أنهينا ذلك الجزء من فنون التخفّى والتنكّر ، ولا شك أن التدريب العملى سيضيف إليكم الخبرات اللازمة ، والآن يمكنكم الانصراف ..

ولكن أحدهم لم يتحرّك من مكانه ..
بقوا جميعًا جالسين ، يتبادلون النّظرات فى تردُّد ، حتى عاد (أدهم) يجلس على مقعده ، ويسألهم فى هدوء :

— حسنًا .. ماذا هناك ؟

نهض أحدهم ليقول :

— معذرة يا سيادة المقدّم ، ولكننى والزملاء نريد أن نُلقى عليك بعض الأسئلة .

بدا الاهتمام على وجه (أدهم) ، وهو يسأله :

— هل أسأت شرح إحدى النقاط ؟

أسرع الملازم الشاب يقول :

— بل لقد كانت محاضرتك رائعة يا سيّدى ، ولكن ..

ظهر التردُّد على وجهه مرّة أخرى ، فقال (أدهم) فى هدوء ، ليستحثه على مواصلة حديثه :

— لا ينبغى لضابط المخابرات أن يتردّد أبدًا أيها الملازم ، فكثيرًا ما تتوقف حياته على الإقدام ، وسرعة اتخاذ القرار .

تضرّج وجه الملازم الشاب بحمرة الخجل ، وأسرع يقول وكأنما وعى الدّرس فى سرعة :

— إن أسئلتنا تتعلّق بك أنت يا سيادة المقدّم .

ابتسم (أدهم) ، واتّكأ بمرفقيه على مكتبه ، وشبّك أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يقول :

— لو أنها أسئلة لا تتعلّق بأسرار العمل ، فيسرنى أن أجيبكم عنها .

التقط الملازم الشاب الهواء ، يملأ به صدره فى قوّة ، قبل أن يندفع قائلاً :

— معذرة يا سيادة المقدّم ، ولكننا لا نستطيع تصديق ما يقولونه عنك ، فهو يبدو أقرب إلى الخيال منه إلى الحقيقة ،

فمن المستحيل أن يجيد رجل واحد فى العالم ، كل فنون القتال ، واستخدام كل أنواع الأسلحة ، والتحدُّث بمجموعة من اللغات الحية بكل لهجاتها ، والتنكُّر على نحو أسطورى ، يجعل الأخ يخطئ كشف تنكُّره ، إذا ما تقمَّص شخصية أخيه .. إننا حقًّا لا نصدِّق كل هذا .

استمع إليه (أدهم) فى هدوء ، ثم سأله :

ــ ما الذى تريدون معرفته بالضبط ؟

أجابه الملازم فى لهجة حادَّة بعض الشىء :

ــ كل شىء يا سيِّدى ، ما لم يكن سرًّا .

تنهَّد (أدهم) ، واعتدل فى مجلسه ، ودار بعينيه فى وجوههم ، وهو يقول :

ــ إنها ليست معجزة أيها الرجال .. كل إنسان يمكنه أن يمتلك كل هذه المهارات ، لو أنه يمتلك قوَّة الإرادة ، والإصرار ، والمواظبة .

هتف أحدهم فى اعتراض :

ــ للجسد البشرى قدراته يا سيِّدى .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

ــ هذا صحيح ، ولكن قدراته تفوق تصوُّرنا بكثير ،

فلاعب السيرك الذى يسير على حبل رفيع هو بشر ، وبطل الأولمبياد الذى يحطِّم الأرقام القياسيَّة بشر ، وكل من يمتلك قدرة متميِّزة بشر .

ثم تنهَّد مرَّةً أخرى ، واستطرد فى هدوء :

ــ سأقصّ عليكم قصتى ، ما دمتم تتلهَّفون لسماعها على هذا النحو .. استمعوا إلىَّ جيِّدًا .

وأصغى إليه الجميع بكل حواسِّهم ومشاعرهم ..

* * *

كان والد (أدهم صبرى) (رحمه الله) من الرعيل الأوَّل من ضباط الجيش ، الذين التحقوا بجهاز المخابرات المصرية ، إبَّان نشأته ، بعد قيام ثورة يوليو ، عام ألف وتسعمائة واثنين وخمسين ، ولم يكن هناك ــ حينذاك ــ جهاز مخابرات متكامل ، بالمعنى المعروف حاليًا ، وإنما كانت محاولات لإنشاء جهاز مخابرات مصرىّ ، بعد أن أثبتت الحرب العالمية الثانية ، التى كان العالم قد خرج منها منذ سنوات قليلة ، أن أجهزة المخابرات يمكنها أن تقلب دفة الأمور رأسًا على عقب ، وتغيِّر مسار الحروب تمامًا ، خاصةً وقد أعلنت قصص عمليات المخابرات ، التى أقدمت عليها قوات المحوَر ، والحلفاء على

السّواء ، والتى كان لبعضها الفضل فى تحويل دفة النصر إلى الحلفاء فى النهاية ..

ولقد كانت مهمة ذلك الرعيل الأوّل ، من ضباط المخابرات المصريّين ، شاقة وعسيرة ، فقد كان عليهم أن ينحتوا الصّخر ، ويستعينوا بكل المراجع والخبرات الممكنة ، والمتوافرة ، لإنشاء جهاز مخابرات مصرى ، يمكنه أن يضارع أجهزة المخابرات الغربية والشرقية ، التى أكسبتها الحرب العالمية الثانية خبرة واسعة فى هذا المجال ..

وانكبّ والد (أدهم صبرى) على دراسة أجهزة المخابرات ، وغرق فى هذا العمل حتى النخاع ، وبهره عالم المخابرات ، واستحوذ على مشاعره وكيانه ، وتدفّقت دماء الحماس والقوة فى عروقه ، وبات يحلم بضابط المخابرات المثالىّ ، الذى يمتلك مواهب خرافيّة ، والذى لا يُشقّ له غُبار ..

ولقد حاول الرجل بالفعل أن يصبح ضابط المخابرات المثالىّ ، وعلى الرغم من المهارة والقوّة اللتين اشتهر بهما فى عالم المخابرات ، إلّا أنه ظل يشعر دوْمًا أنه لم يحقّق ما كان يطمح إليه ، فقد كان اكتساب تلك المهارات ، التى يسعى إليها ، يحتاج إلى سنوات من المران والخبرة ..

وهنا اتّجه تفكيره إلى ولديه ، (أدهم) ، و (أحمد) ..

راوده ذلك الحلم يومًا ، وهو يتطلّع إلى صغيريه ، ولم يكونا قد تجاوزا الثالثة من عمريهما بعد ، ورأى فى هذا الحل المثالى لما يطمح إليه ، وقرّر أن يصنع من ولديه ، أو أحدهما رجل المخابرات الذى يحلم بوجوده ..

وهكذا بدأ (أدهم) وشقيقه (أحمد) تدريباتهما فى عالم المخابرات ، قبل أن يلتحقا حتى بالمدرسة الابتدائية ..

وكان والدهما (رحمه الله) حادّ الذّكاء ، جعل تدريباته تبدو لهما على هيئة ألعاب ممتعة ، مسليّة ، خلبت لُبّ صغيريه ، وجذبتهما إلى العالم الذى يُعدّه لهما ..

ووضع الوالد قواعد اللعبة منذ اللحظة الأولى ..

كان ضابط المخابرات المثالىّ فى نظره رجلًا يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة ، وكل فنون القتال ، والتحدث بعشرات اللغات ، وإجادة فن التنكّر ، وكل المهارات والخبرات الممكنة ، ومن الضرورىّ أن يمتلك أيضًا سرعة مبادرة ، وردّ فعل مثاليين ، يمكّنانه من مباغتة خصومه ، ودرء هجومهم فى كفاءة ..

وبعد عام من التدريبات المسلية ، المدروسة فى عناية فائقة ،

بات واضحًا للأب ، الذى أخفى حلمه حتى عن زوجته ، أن ولده (أدهم) ، أكثر شغفًا وميلًا للأمر ، من شقيقه (أحمد) ، وأكثر استيعابًا منه لقواعد عالم المخابرات ، فأولاه مزيدًا من رعايته ، وعنايته ، وأصبح حلم حياته هو أن يجعل من (أدهم صبرى) رجل المخابرات الذى لا يشق له غبار ..

وهكذا كان (أدهم) يجيد حلّ وتركيب المسدسات ، والبنادق ، والمدافع الرشاشة ، ويتحدث بعض الإنجليزية ، وقليلًا من الفرنسية ، ويمكنه تمييز نوع أى سلاح بمجرد رؤيته ، وهو بعدُ فى الخامسة من عمره ..

وفى السابعة كان (أدهم) يتحدث الإنجليزية على نحو جيد ، ويجيد لعبة (الشطرنج) ، ويمكنه التقاط كرة سريعة بكفيه الصغيرتين ، ويتلقى تدريبات مثالية فى رياضتى (الجودو) و (الكاراتيه) ..

وفى العاشرة أثبت الصغير نبوغًا ، فبات يتحدث الإنجليزية والفرنسية فى طلاقة ، وحصل على الحزام الأسود فى لعبتى (الكاراتيه) و (والجودو) ، ووصلت سرعة استجابته إلى حدّ ملفت للنظر ، بالنسبة لعمره ، وأصبح باستطاعته حل الرسائل الشفرية ، التى يتبادلها معه والده ، وبدأ دروسه

فى الألمانية والإيطالية ، والتحق بفريق الأشبال ، ومارس رياضة الجمباز ، دون أن يسمح لكل ذلك بمنعه من التفوّق فى دراسته ..

وفى الخامسة عشرة ، أصبح الجميع ينظرون إلى (أدهم) بصفته معجزة ، أو فلتة من فلتات الزمان ، فقد كان يتحدث الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية بطلاقة بالغة ، ويجيد رياضات (الجودو) و (الكاراتيه) ، و (الجمباز) ، و (ألعاب القوى) فى مهارة يحسد عليها ، ويحفظ كل جزء من أجزاء الطائرات الحربية ، والدبّابات ، والغوّاصات ، والزوارق البخارية ..

وفى الثامنة عشرة أضاف إلى التدريبات التى تلقاها فى الكلية الحربية ، التى التحق بها على الرغم من حصوله على أحد المراكز الأولى فى شهادة الثانوية العامة ، قيادة السيّارات والدرّاجات البخارية فى مهارة ، وبدأ يتلقى دروس اللغة الروسيّة ، واللغة اليابانية ، بالإضافة إلى اللغة العبْريّة ، التى يدرسها فى الكليّة الحربية ..

ثم اغتيل والد (أدهم) ، الذى انتقل للعمل فى واحدة من

سفاراتنا فى الخارج ، كملحق عسكرى(*) ، وامتلأت نفس (أدهم) بالغضب ، والكراهية لجهاز المخابرات (الموساد) ، الذى اغتال والده(**) ، وقرّر أن يواصل تدريباته ، ويعمل لتحقيق حلم والده ، والانتقام من قاتليه ..

ولقد قدّم (أدهم) بالفعل طلبًا للالتحاق بالمخابرات العامة ، ولكن المسئولين — آنذاك — رأوا الإفادة من قدراته المتفوّقة فى القوات الخاصّة (الصاعقة) ، خاصّةً ، وقد كانت حرب الاستنزاف فى أوجها ، استعدادًا لحرب أكتوبر عام ألف وتسعمائة وثلاثة وسبعين ، إلا أن المخابرات العامة استعانت به ذات مرّة ، وهو يعمل فى قوات الصاعقة(***) ، ومرّة ثانية قبيل حرب أكتوبر بأيام (****) ، مما أتاح له أن يلتحق بعد ذلك بجهاز المخابرات العامّة المصريّة ، ويتلقّى فيها المزيد من التدريبات ، التى حوّلته إلى من نعرفه اليوم باسم (رجل المستحيل) ..

***

(*) راجع قصة (الضباب القاتل) .. المغامرة رقم (٢٤) .

(**) الموساد : جهاز المخابرات الإسرائيلية .

(***) راجع قصة (الخطوة الأولى) .. المغامرة رقم (٣١) .

(****) راجع قصة (خيط اللهب) .. المغامرة رقم (٣٢) .

استمع الملازمون الأوائل إلى (أدهم) ، وهو يقصّ قصته ، حتى انتهى منها ، فهتف أحدهم مشدوهًا :

— أكثر من ثلاثين عامًا من التدريب على أعمال المخابرات ؟!.. يا إلهى !!.. لقد نلت فرصة نادرة يا سيادة المقدّم .. ليس من العجيب إذن ألّا يضارعك رجل مخابرات فى قدراتك .

واندفع آخر يقول :

— يمكننى أن أستوعب قدراتك المذهلة بعد ما سمعنا ، ولكن كيف يمكن أن يكتسب إنسان ما القدرة على القتال بأطرافه الأربعة فى آن واحد ، وسرعة استجابتك المذهلة بالمران وحده .. لا شك أنك موهوب .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

— بل هو المران وحده يا صديقى .

ثم انحنى يستطرد فى اهتمام :

— انظر إلى مهرّج السيرك ، تجده يلقى كرة بيمناه ، ويتلقّاها بيسراه ، فى نفس الوقت الذى يسير فيه على حبل رفيع ، ويزن عصا طويلة على أطراف أصابع قدمه .. إن هذا المهرّج يستخدم أطرافه الأربعة بالفعل ، ولقد اكتسب هذا

بالمران وحده ، وبالمران أيضًا يمكنك أن تحوّل إلقاء الكرة إلى لكمة ، ووزن العصا إلى ركلة ، وهكذا يمكنك القتال بأطرافك الأربعة فى آن واحد .

هتف آخر :

ــ وماذا عن سرعة الاستجابة ، ورد الفعل المُذهِل ؟

أجابه (أدهم) :

ــ هل سبق لك أن شاهدت طفلًا ، يمارس تلك الألعاب الإليكترونية ، التى نطلق عليها اسم (ألعاب الفيديو) ؟.. إن هذا النوع من الألعاب يعتمد على ظهور أهداف عشوائية مفاجئة على الشاشة ، ومهمة اللاعب أن يصيب هذه الأهداف ، ويتحاشى فى الوقت ذاته الإصابة بقذائفها ، وحينما يمارس اللاعب هذا النوع من الألعاب لأوّل مرّة ، يجد أن مهمته بالغة الصعوبة ، ثم لا يلبث أن يتجاوب مع اللعبة ، ويمكنه تحقيق نتائج رائعة بها ، وبالمران يمكنه أن يصل إلى نهايتها ويهزمها .. إنه ــ دون أن يدرى ــ يزاول تمرينات رفع كفاءة سرعة استجابته ، وردود أفعاله ، ويعوّد عقله اتخاذ القرار ، ووضعه موضع التنفيذ فى سرعة ، وهذا يجيب عن سؤالك .

همّ أحد الملازمين الأوائل بإلقاء سؤال آخر ، حينما ارتفع فجأة ، من مدخل القاعة ، صوت يقول :

ــ انتهت الأسئلة يا رجال .

التفت (أدهم) والملازمون إلى مصدر الصوت ، وابتسم هو ، قائلًا :

ــ مرحبًا أيها المقدّم (عِفّت) .. ماذا وراءك ؟

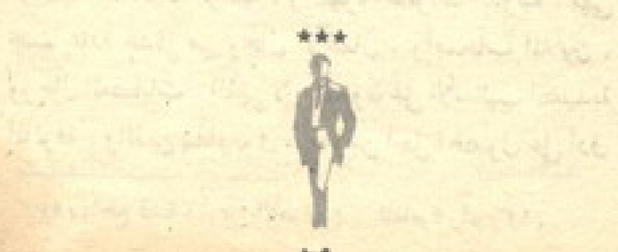
أجابه (عفّت) فى هدوء :

ــ إنهم يطلبونك على وجه السرعة ــ فى الإدارة يا سيّدى .

وصمت لحظة قصيرة ، قبل أن يُردِف فى لهجة توحى بأهمية الأمر :

ــ إنها مهمة جديدة لـ (رجل المستحيل) .

***



٢ ـــ جحيم الملائكة ..

نقل مدير المخابرات العامة المصرية بصره ، بين (أدهم) و (منى) ، ثم أشار إليهما بالجلوس ، وتراجع ليستند بظهره إلى مقعده ، ويشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يقول :

ـــ أنتما تعلمان ـــ نظرًا لخبرتكما ـــ أن أنظمة الجاسوسية فى العالم ، تنقسم إلى قسمين ، قسم يتبع أجهزة المخابرات الرسمية، فى كل دول العالم تقريبًا ، والقسم الآخر ينطوى تحت اسم (منظمات التجسس الخاصة) ، ولقد سبق لكما معًا أن واجهتما واحدة من منظمات التجسس الخاصة هذه ، والمعروفة باسم (سكوربيون)(*) ، ولا ريب أنكما تعلمان أنها ليست المنظمة الخاصة الوحيدة فى هذا المجال ، وأن مواجهة تلك المنظمات الخاصة تكون عادة أشد خطورة وصعوبة ، من مواجهة المنظمات الرسمية ، وأجهزة المخابرات الدولية ، فهى تضم عادة عددًا من رجال الأعمال ، وأصحاب الملايين ، ورجال العصابات ، الذين لا يعتمدون على الأساليب التقليدية المألوفة ، والذين ينفقون فى سخاء من أجل الحصول على أدق

(*) راجع قصة (أرض الأهوال) .. المغامرة رقم (١٣) .

أسرار الدول ، وبيعها للدول المنافسة لها دون أن ينتمى أفرادها إلى عقيدة أو جنسية ، أو مبادئ واحدة ، اللهم إلا السعى إلى مزيد من الثراء والقوة .

قاطعه (أدهم) فى هدوء :

ـــ هل سنواجه منظمة جاسوسية خاصة هذه المرة يا سيدى ؟

مط مدير المخابرات شفتيه ، وقطب جبينه ، وكأنما ساءه أن يقاطعه (أدهم) على هذا النحو ، إلا أنه التقط من فوق مكتبه نسختين ، من صحيفة باريسية شهيرة ، ناول إحداهما لـ (أدهم) ، والأخرى لـ (منى) ، وهو يقول :

ـــ بين أيديكما عدد صباح أمس ، من صحيفة (لوموند) الفرنسية ، ولو طالعتما صفحتها الأولى ، فستجدان أنها تحوى تفاصيل التصميمات الكاملة ، لأحدث طرازات المقاتلة السوفيتية (ميج) ، التى كان السوفيت يحيطونها بالسرية البالغة ، والمقال الذى تفجر كالقنبلة ، وتناقلته وكالات الأنباء فى أول نشراتها ، يحمل توقيع (ملائكة السلام) .

غمغمت (منى) ، وكأنها تتساءل عن صحة الاسم :

ـــ (ملائكة السلام) ؟!



التقط من فوق مكتبه نسختين ، من صحيفة باريسية شهيرة ، ناول إحداهما لـ (أدهم) ، والأخرى لـ (منى) ..

أومأ مدير المخابرات برأسه إيجابا ، وقال :

ـ تقول تحرياتنا إن المقال ، والصور ، والتصميمات قد أرسلت إلى (لوموند) بواسطة البريد ، وتحت نفس التوقيع ، ودون مقابل ، ولا أحد يعلم اسم مرسلها ، أو عنوانه ، فيما عدا أن أختام توزيع البريد تقول إنه أرسل من (باريس) نفسها ، ولقد لزم السوفيت الصمت إزاء هذا النشر ، ولكن لاريب أنهم يتميزون غيظا ، ويجرون تحريات واسعة ، صارمة ، مكثفة ، لمعرفة كيفية تسرب هذا السر عبر حدودهم ، ومن هم (ملائكة السلام) ؟

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول فى هدوء :

ـ كدت أسأل السؤال الأخير ذاته يا سيدى .

عقد المدير حاجبيه ، وهو يقول :

ـ لقد عكف خبراؤنا على دراسة الأمر منذ البارحة يا (ن ـ ١) ، ولقد انتهت بهم دراستهم إلى أن (ملائكة السلام) هو اسم لأحدث منظمة ، فى عالم الجاسوسية الخاصة ، لم تجد سبيلا لإثبات قوتها ، وتثبيت أقدامها على الساحة ، وسط المنظمات القديمة القوية ، سوى هذا الأسلوب ، فلا شك أن انتزاع سر حربى خطير كهذا ، من

دولة صارمة ، من العسير اختراق حدودها ، مثل الاتحاد السوفيتى ، بعد إعلانًا رائعًا لمولد تلك المنظمة الجديدة ، وتأكيد بأسها وسطوتها .

هزّ (أدهم) كتفيه ، وهو يقول :

ـ معذرةً يا سيدى ، ولكن ما صلتنا نحن بالأمر ، ما دامت الأسرار التى نُشرت ، تخص السوفيت وحدهم ؟

ظهر الضيق على وجه مدير المخابرات ، وكأنما يؤسفه أن يُلقِى رجلُ مخابرات محنّك مثل (أدهم صبرى) هذا السؤال ، ولكنه أجاب فى هدوء :

ـ إننا أمام مولد منظمة جاسوسيّة خاصّة يا (ن ـ ١) ، وما دامت قد بدأت عملها بتحدّى السوفيت ، فلا شك أن القضاء عليها قد أصبح ضروريًا ، قبل أن يستفحل أمرها ، وتتحوّل إلى خطرٍ يصعب درؤه .

وصمت لحظة ، قبل أن يستطرد :

ـ لا شك أن هذه الفكرة قد راودت كل أجهزة المخابرات القوية ، وخاصّة الـ(كى.جى.بى)(*)، والـ(سى.آى.إيه)(**)، ولكننى أوقن أنك أقدر الجميع على مواجهة (ملائكة

(*) الـ (كى. جى. بى) : المخابرات السوفيتية .

(**) الـ (سى. آى. إيه) : المخابرات المركزيّة الأمريكية .

السلام) ، خاصّةً وأن التحريات التى قام بها ، وبصورة مكثّفة ، مكتبنا فى (باريس) ، تؤكّد ارتباط واحدة من أخطر أفراد المخابرات السابقين بهذه المنظمة الخاصّة ، على نحو أو آخر .

زوت (منى) ما بين حاجبيها فى شدّة ، وهى تتطلّع إلى مدير المخابرات ، فى حين غمغم (أدهم) :

ـ دعنى أخمّن يا سيدى .. أهى واحدة من أخطر ضباط (الموساد) السابقين ؟

أومأ مدير المخابرات برأسه إيجابًا ، وهو يبتسم لفطنة (أدهم) ، قائلًا :

ـ نعم يا (ن ـ ١) .. إنها غريمتك التقليديّة (سونيا جراهام) .

قالت (منى) فى صرامة :

ـ وما الذى دفع هذه الأفعى إلى ذلك ؟

هزّ مدير المخابرات كتفيه ، وقال :

ـ لسنا نعلم بعد أيها النقيب ، ولكن رجال مكتبنا فى (باريس) يسجلون منذ فترة تحرّكات (سونيا جراهام) ، التى استقرّت هناك ، بعد أن أعفيت من عملها فى (الموساد) ،

إثر فشلها فى آخر مهمة رسمية لها ، فى التخلُّص من (أدهم)(*) ، وتقول التقارير التى أرسلوها : إنها كانت تنتظر ، فى لهفة واضحة ، فتاة قادمة من (روسيا) ، فى مطار (أورلى) ، قبل نشر المقال بيومين ، وإنها تقوم بنشاط غامض منذ أكثر من ثلاثة أشهر ، فى أوساط رجال الأعمال ، ورجال العصابات الباريسيين .

بدت لهجة (أدهم) مفعمة بالسخرية ، وهو يقول :

ــ يبدو أن صديقتنا (سونيا) لم تحتمل البقاء دون عمل ، بعد أن ركلها (الموساد) خارجه ، فقررت أن تنشئ لنفسها منظمة جاسوسيّة خاصّة .

عاد مدير المخابرات يمطّ شفتيه ، وهو يقول :

ــ الأمر لا يحتمل المزاح يا (ن ــ ١) .

ثم اعتدل فى مقعده ، وهو يقول فى اهتمام بالغ :

ــ ستمارس هوايتك ، فى مخالفة خطة العمل بصورة رسميّة ، هذه المرّة يا (ن ــ ١) ، فلن تكون هناك خطة محدودة على الإطلاق ، فمهمتك أنت والنقيب (منى) أن تنطلقا خلف

(*) راجع قصة (مهمّة خاصّة) .. المغامرة رقم (٥٠) .

منظمة (ملائكة السلام) هذه ، وتعثرا عليها ، وتكشفا أفرادها ..

وصمت لحظة ، قبل أن يستطرد فى صرامة :

ــ وتحطماها تحطيمًا .

تبادل (أدهم) و (منى) نظرة واثقة ، مفعمة بالحماس ، قبل أن يقول (أدهم) فى هدوء :

ــ اطمئن يا سيِّدى .. سنجد (ملائكة الجحيم) هؤلاء ، وسنلدهم فى مهدهم .

وابتسمت (منى) ، وهى تكمل عبارة (أدهم) فى هدوء وثقة :

ــ اطمئن يا سيِّدى .

* * *



٣ — (باريس).. المحطة الأولى..

استرخت (منى) فوق مقعد وثير ، فى حجرة الفندق الباريسى الشهير ، فى حين وقف (أدهم) أمام النافذة ، وقد عقد كفيه خلف ظهره ، وهو يتأمل برج (إيفل) المعدنى الشاهق ، قبل أن يغمغم فى هدوء :

— كم أعشق (باريس) !!.. إنها — فى رأيى — أجمل مدن (أوروبا) ، وأرقها !!

غمغمت (منى) ، وهى تسبل جفنيها فى تكاسل :

— لقد فقدت ذلك الشعور ، منذ عملت فى المخابرات .

ابتسم وهو يقول :

— ولكننى أحمل لـ (باريس) بالذات عشقًا خاصًا يا عزيزتى ، فقد خضنا على أرضها أول مهمة لنا معًا(*) .

ضحكت وهى تقول :

— وكانت أول مرّة تعمل فيها مع فتاة ، ولقد كنت ثائرًا غاضبًا .

التفت إليها يرمقها بنظرة حانية ، وهو يهمس فى عاطفة :

(*) راجع قصة (الاختفاء الغامض) .. المغامرة رقم (١) .

— كم كنت أحمق حينذاك .

تضرّج وجهها بحمرة الخجل ، وأغلقت عينيها وكأنها تفرّ من نظرة الحب المطلّة من عينيه ، وهى تشعر بقلبها يخفق فى شدة ، حتى انتزعتها من خجلها ثلاث طرقات بطيئة متتابعة ، على باب الحجرة ، عقد (أدهم) بعدها حاجبيه ، وهو يقول فى اهتمام :

— إنه الرائد (وليد) ، مدير مكتبنا هنا .. إنها إشارته .

وأسرع يفتح الباب ، وشملت وجهه ابتسامة ودود مرحّبة ، وهو يصافح (وليد) ، قائلًا :

— مرحبًا بك ياصديقى ، كيف حال العمل فى (باريس) ؟

ابتسم (وليد) ، وهو يصافحه فى حرارة ، وقال وهو يصافح (منى) ، التى نهضت للترحيب به :

— العمل هو العمل فى كل مكان يا سيادة المقدّم .

ثم فتح الحقيبة الصغيرة التى يحملها ، والتقط منها مسدّسين ، أحدهما ضخم ، من ذلك الطراز الذى يروق لـ (أدهم) استخدامه ، والآخر صغير يناسب حقيبة (منى) الأنيقة ، ووضعهما على المائدة الصغيرة ، فى منتصف الحجرة ، وأضاف إليهما علبتين من الطلقات الإضافية ، وهو يقول :

— ها هى ذى أسلحتكما ، حاولا المحافظة عليها ، فمن العسير الحصول على مثلها هنا .

التقط (أدهم) مسدسه ، وفحصه فى عناية وإعجاب ، وهو يبتسم ، قائلًا :

— أعلم ذلك يا صديقى ، ولقد تطوّرت أجهزة كشف الأسلحة فى المطارات ، حتى بات من العسير أن يحمل المرء سلاحه الخاص أينما ذهب .

ارتسمت ابتسامة باهتة على شفتى (وليد) ، وهو يتطلّع إلى (منى) ، التى شرعت فى فحص مسدسها بدورها ، فى حين سأله (أدهم) فى هدوء ، وهو يدس مسدسه فى حزامه من الخلف :

— والآن ماذا لديك عن صديقتنا (سونيا) ؟

أجابه (وليد) فى جدّيّة :

— إنها تقيم هنا تحت اسم (بريجيت فرانسوا) ، وتقطن فيلًا فاخرة ، لها حوض سباحة خاصّ ، أعلى واحدة منْ أفخر البنايات فى (الشانزليزيه) ، ولست أدرى من أين تأتى بتلك الأموال ، التى تبعثرها فى سخاء ، ولكنها تمتلك سيّارة ألمانية الصنع ، من نوع (المرسيدس) ، وقد صبغت شعرها بلون

أشقر ذهبىّ . جعلها تبدو رائعة الجمال ، وتربطها صداقة قوية بواحدة من أثرى أثرياء (باريس) ، تُدعى (كلوديا موريس) ، تمتلك عدة شركات سياحية ، وعددًا لا حصرَ له من المشروعات التجاريّة المختلفة ، وأفخم ملهى ليلىّ وناد للقمار فى (باريس) ، وهذا كل ما لدينا حتى الآن .

سأله (أدهم) فى هدوء ، يحمل لمسة صارمة :

— وماذا عن تلك الفتاة ، التى عادت بالتصميمات السرّيّة من (موسكو) ؟

سرت حمرة خفيفة فى وجه (وليد) ، كأنما أخجله أن أغفل ذكر هذه المعلومة ، وخفض عينيه وهو يغمغم ، فى لهجة تحمل نبرة الاعتذار :

— اسمها (جوزفين مونييه) ، وهى مديرة العلاقات العامّة فى شركة كبرى للدعاية ، تملكها (كلوديا) ، وهى شقراء جذّابة مثل مخدومتها ، وتربطها علاقة صداقة قويّة بـ (مارسيل بيكر) ، رجل العصابات المعروف .

عقد (أدهم) حاجبيه مفكّرًا ، وغمغم وكأنه يحادث نفسه :

— ثلاث شقراوات ورجل عصابات .. هذا طريف .

ثم تألقت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وهو يستطرد فى صوت مرتفع :

— يبدو أننا قد وجدنا أول الخيط إلى (ملائكة الجحيم) أيها السادة .

* * *

صبّت (سونيا جراهام) كأسين من (الكونياك) ، ناولت إحداهما إلى (كلوديا) ، وهى تبتسم قائلة :

— نخب نجاح عملية (موسكو) .

ثم أردفت فى خبث ، وهى ترفع كأسها إلى شفتيها :

— للمرة العاشرة .

ارتسمت على شفتى (كلوديا موريس) ، سيدة الأعمال الفرنسية الثرية ، ابتسامة تجمع ما بين الغرور والدهاء والسخرية ، وهى ترتشف بعض ما فى كأسها ، وتقول :

— إنها تستحق أن نحتفل بها أكثر من عشر مرات ياعزيزتى (برجيت) ، فقد تكلفت مبلغا باهظا ، دون أن تحقق عائدا على الإطلاق .

هزّت (سونيا) كتفيها ، وهى تقول :

— يمكنك إضافة المصاريف إلى بند الدعاية يا (كلوديا) ، فالعالم كله يردّد الآن اسم (ملائكة السلام) .

ردّدت (كلوديا) فى لهجة ساخرة :

— (ملائكة السلام) ؟!.. ياله من اسم لمنظمة جاسوسية !!

غمغمت (سونيا) فى لهجة أشدّ سخرية :

— إننا نساعد على نشر السلام ، بكشف كل الأسرار الحربية ، أليس كذلك ؟

أطلقت (كلوديا) ضحكة عابثة ، ساخرة ، عالية ، قبل أن تميل نحوها ، قائلةً :

— بالطبع يا عزيزتى (برجيت) ، ما دام هذا سيجعلنا نربح مليارات الفرنكات ، كما نأمل .

قالت (سونيا) فى إصرار :

— سنفعل يا (كلوديا) .. العملية القادمة ستجعلنا نربح عشرة ملايين دولار على الأقل .. هل تعلمين كم تبلغ قيمتها بالفرنكات الفرنسية ؟

ارتشفت (كلوديا) رشفة أخرى من كأسها ، وهى تسألها فى برود :

— وَمَنْ سيتولى أمر العملية التالية ؟.. أهى (جوزيفين) أيضًا ؟

التمع بريق خبيث فى عينى (سونيا) ، وهى تقول :

— كلا يا (كلوديا) .. لقد تجشمت (جوزفين) الكثير فى عملية (موسكو) ، ومن حقها أن تحصل على قدر من الراحة ، أما عن العملية القادمة ، فأنا أدخرها لك .

هتفت (كلوديا) فى مزيج من الدهشة والاستنكار :

— أنا ؟!.. هل جننت ؟

استرخت (سونيا) فى مقعد وثير ، وهى تقول فى هدوء :

— لِمَ لا يا عزيزتى (كلوديا) ؟.. ألست تسعين للإثارة والمغامرة ؟.. ثم إنك تمتلكين دارًا لتصميم موضات الأزياء الباريسية الحديثة ، التى تخلب لبَّ النساء فى كل أنحاء العالم .

أشعلت (كلوديا) سيجارتها فى عصبية ، وهى تقول :

— لن يروق لى أن أدفن شبابى خلف قضبان السجن ، إذا ما فشلت العملية .

ابتسمت (سونيا) فى خبث ، وهى تقول :

— اطمئنى يا عزيزتى ، ستكون العملية القادمة فى دولة لا تسجن الجواسيس ، وإنما تعدمهم شنقًا .

اتسعت عينا (كلوديا) فى ذعر ، وتحسست عنقها فى اضطراب ، ثم لم تلبث أن تمالكت جأشها ، وتظاهرت باللامبالاة ، وهى تنفث دُخان سيجارتها ، وتُشيحُ بوجهها لتخفى توتُّرها ، وهى تقول :

— هذا لا يروق لى يا (سونيا) .

أطلقت (سونيا) ضحكة عابثة قصيرة ، ثم عادت تقول فى خبث :

— يا للخسارة !!.. إنك تحلمين دومًا بزيارة تلك الدولة ، التى ستصبح هدفًا لعمليتنا القادمة ، وإقامة بعض المشروعات فى أرضها ..

اتسعت عينا (كلوديا) ، وأدارتها لتحدق فى وجه (سونيا) ، وهى تهتف :

— يا للشيطان !!.. هل تعنين .. ؟

قاطعتها (سونيا) فى هدوء ، وهى ترتشف كأسها :

— نعم يا عزيزتى .. ستكون عمليتنا التالية فى تلك الدولة .. فى (مصر) .

* * *

٤ — المِصْيَدة ..

تطلّعت (جوزيفين مونييه) بعينيها الزرقاوين ، من خلف منظارها الطبيّ الأنيق ، إلى (منى) ، التى جلست أمامها هادئة ، ثم نزعت (جوزفين) منظارها الطبيّ ، ووضعته فى هدوء ، فوق سطح مكتبها ، قبل أن تقول :

— ولماذا تريدين مقابلة مدام (كلوديا) نفسها يا مدموازيل (مَرْوة) ؟.. يمكننى أنا أن أستمع إليك ، وأنفّذ كل ما تطلبين .

ابتسمت (منى) ابتسامة هادئة ، وهى تقول بفرنسية سليمة :

— كما سبق أن أخبرتك يا عزيزتى ، إن رئيسى يرغب فى إنشاء سلسلة مطاعم فاخرة ، فى قلب (باريس) ، وسيحتاج إلى حملة إعلامية ضخمة ، تبلغ مليونى فرنك على الأقل ، وهو يُصِرُّ على أن تتولى شركتكم الأمر ، على أن توقّع (كلوديا موريس) العقد بنفسها .

ضاقت عينا (جوزفين) ، وهى تتفرّس ملامح (منى) لحظة ، ثم عادت تلتقط منظارها الطبيّ ، وتضعه على عينيها ،

وهى ترسم على شفتيها الحمراوين ابتسامة نمطية ، وتقول فى هدوء :

— من العسير فى الواقع مقابلة مدام (كلوديا) ، فكثرة أعمالها ومشاغلها تمنعها من ....

قاطعتها (منى) ، وهى تنهض قائلة فى هدوء :

— فى هذه الحالة يؤسفنى أن ....

اتسعت ابتسامة (جوزفين) ، وحملت الكثير من الدهاء ، وهى تقاطعها بدورها ، قائلة :

— مهلًا يا مدموازيل (مَرْوَة) .. إننى لم أتمّ حديثى بعد .. صحيح أن مدام (كلوديا) غارقة فى الأعمال والمشاكل ، ولكن هذا لن يمنعها من مقابلة رئيسك ، وتوقيع العقد معه بنفسها ، ما دام حجم الصفقة سيبلغ مليونىْ فرنك .

عقّبت (منى) فى تأكيد :

— على الأقل .

ابتسمت (جوزفين) ، وهى تقول فى لهجة لم تَرُق لـ (منى) :

— بالطبع يا مدموازيل (مَرْوَة) .. إن تعاملنا مع رئيسك سيكون فريدًا من نوعه .

ثم أردفت فى لهجة روتينية :

ـــ معذرة .. هل يمكنك تذكيرى باسم رئيسك ؟

أجابتها (منى) فى هدوء ، وإن خامرها قلق خفىّ ، لم تدرِ له سببًا :

ـــ (ألبرت صموائيل) .. إنه رجل معروف فى موطنه (المغرب) .

ضغطت (چوزفين) بأناملها ، فى حركة رشيقة ، أزرار جهاز الكمبيوتر الموضوع أمامها ، ثم عادت تبتسم تلك الابتسامة غير المطمئنة ، وهى تلتفت إلى (منى) ، قائلة :

ـــ يمكن لرئيسك مقابلة مدام (كلوديا) ، فى العاشرة من صباح غد .. ستكون فى انتظاره .

حيّت كل منهما الأخرى بابتسامة باردة ، ولم تكد (منى) تنصرف ، حتى أسرعت (چوزفين) تلتقط سمّاعة هاتفها الخاصّ ، وطلبت رقمًا من خانتين ، ولم تكد تسمع صوت محدّثها على الطرف الآخر ، حتى اختفت لهجتها الرقيقة ، وحلّت محلّها لهجة صارمة ، وهى تقول :

ـــ اسمعنى يا (شيفاليه) .. اتبع الفتاة التى غادرت مكتبى توًّا ، وحاول أن تجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات

عنها ، والتقط لها بعض الصور الجيّدة ، ولكن حذار أن تمسّها بسوء ، أو أن تجعلها تشعر بمراقبتك لها ، وتعال إلى مكتبى فور عودتك .

ثم أعادت السمّاعة إلى موضعها ، والتقطت سمّاعة الهاتف الآخر ، وطلبت رقمًا طويلًا ، وانتظرت حتى جاءها صوت محدثتها ، فارتسمت على شفتيها ابتسامة غامضة ، وهى تقول :

ـــ صباح الخير يا عزيزتى (سونيا) .. أوه .. معذرة .. أقصد يا عزيزتى (برجيت) .. لقد غادرت مكتبى على التو فتاة ، يشبه صوتها إلى درجة مذهلة ، صوت عزيزتنا (راشيل) ، حتى أنها ذكّرتنى برفيقة ذلك الشيطان المصرىّ ، الذى تحلمين بالقضاء عليه .. نعم .. إننى أقصده .. أقصد (أدهم صبرى) .. يبدو أنه قد التحق باللعبة ..

* * *

لم تكد (منى) تدلف إلى حجرتها ، فى ذلك الفندق الفاخر ، حتى رفع (أدهم صبرى) عينيه إليها ، وسألها فى هدوء :

ـــ هل سار كل شىء على ما يرام ؟

أجابته وهى تخلع معطفها ، وتلقى به فوق مقعد قريب فى إهمال :

— نعم .. لقد أرسلت أحد رجالها خلفى ، ولقد تظاهرت بأننى لم ألحظ ذلك ، ولم أنتبه إلى أنه يلتقط لى بعض الصور بآلة تصوير دقيقة .

ضحك (أدهم) ، وهو يقول :

— يا إلهى !!.. لقد أصبحت محترفة بحق يا عزيزتى .

ابتسمت وهى تُغلق عينيها فى تكاسُل ، مغمغمة :

— تلميذتك يا (رجل المستحيل) .

ثم عادت تفتح عينيها ، وتقول ، وقد دبَّ فى جسدها نشاط مفاجئ:

— والآن ماذا سنفعل ؟

أجابها فى هدوء ، وقد ارتسمت على شفتيه تلك الابتسامة الساخرة العابثة ، وومض فى عينيه بريق الحزم والمغامرة :

— لقد تأكدنا من أن الشقراوات الثلاث هنّ (ملائكة الجحيم) يا عزيزتى ، فلو لم يكنّ كذلك ما أرسلت (جوزفين) رجلها خلفك .

عادت تسأله فى لهجة تحمل بعض التبرُّم :

— سألتك ماذا سنفعل ؟.. ما الخطوة التالية ؟

أجابها بابتسامة هادئة ، وبصوت يحمل رنّة ساخرة :

— لن نضيع الوقت يا عزيزتى .. سنقتحم وكر (ملائكة الجحيم) هذا المساء .

* * *

تألق بريق شرس فى عينى (سونيا) ، وارتجفت أصابعها من فرط الغضب ، وهى تفحص تلك الصور ، التى التقطها (شيفاليه) لـ (منى) ، واحدة بعد الأخرى ، ثم لم تلبث أن ألقت بها بعيدًا فى حنق ، وهى تهتف :

— نعم .. إنها هى .. إنها تلك اللعينة !!

ابتسمت (كلوديا) فى سخرية ، وهى تقول :

— ماذا أصابك يا عزيزتى (بريجيت) ؟!.. إنك تردِّدين العبارة نفسها منذ ساعات ، كلما أمسكت مجموعة الصور هذه ، هل تؤرِّقك تلك الفتاة إلى هذا الحدّ ؟

لوّحت (سونيا) بذراعها ، وهى تقول فى حنق :

— تلك الفتاة ؟!.. إنها ليست مجرَّد فتاة يا (كلوديا) .. إنها رفيقة ذلك الشيطان . (أدهم صبرى) .. ما دامت هنا فهو أيضًا هنا .. إنها لا تعمل وحدها أبدًا .

سألتها (كلوديا) فى برود ساخر :

— أيهما يخيفك ؟.. هو أم هى ؟

استشاطت (سونيا) غضبًا ، وهى تهتف :

— لا أحد يخيفنى فى هذا العالم بأسره ، ولكننى أُبغض (أدهم صبرى) هذا .. ثم إنه ضابط مخابرات مصرىّ ، وسعيه مع رفيقته خلف (چوزفين) ، يعنى أن المخابرات المصريّة قد توصّلت إلينا على نحو أو آخر .

نجحت العبارة الأخيرة فى انتزاع (كلوديا) من برودها ، وإغراقها فى بحر من القلق والتوتّر ، وهى تقول :

— المخابرات المصريّة ؟!.. هذا مستحيل يا (برچيت) !.. لا أحد يمكنه أن يربط بيننا وبين (ملائكة السّلام) !!

غمغمت (سونيا) فى لهجة ساخرة ، تفيض بالمرارة والحقد :

— مستحيل ؟!.. يبدو أنك لا تعرفين المخابرات المصريّة جيّدًا يا عزيزتى .. إنهم ..

بترت (سونيا) عبارتها فجأة ، وهى تتحدّث مع (كلوديا) .. التى اتسعت عيناها فى دهشة ، وسقطت سيجارتها من بين شفتيها ، وشحب وجهها فى شدّة ، وهى

تتطلّع إلى نقطة ما خلف (سونيا) وقبل أن تلتفت هذه الأخيرة ، لترى ما أثار ذعر (كلوديا) إلى هذا الحدّ ، انتفض جسدها فى مزيج من الخوف والبغض والحنق ، حينما سمعت صوتًا هادئًا ، ساخرًا مألوفًا ، يقول :

— هيّا يا عزيزتى (سونيا) .. إننى أنتظر سماع قصيدة الغزل ، التى ستلقينها فى المخابرات المصريّة .

لقد كان صوت (أدهم صبرى) ..

* * *

اجتاحت موجة عارمة من الغضب نفس (سونيا جراهام) ، حينما استدارت لتحدّق فى (أدهم) ، الذى وقف هادئًا فى شرفة منزلها ، موليًا ظهره لحوض السباحة الخاص بها ، وهو يرتدى حلة سوداء أنيقة ، ويمسك فى قبضته — بتراخ — مسدسًا ضخمًا ، وكان أول ما نطقت به (سونيا) ، وهى تتطلّع إلى هذا المشهد ، هو أن هتفت فى حنق :

— كيف وصلت إلى هنا ؟

أجابها (أدهم) فى هدوء ساخر :

— لن أخبرك بالطبع يا عزيزتى (سونيا) ، فالمحترفون أمثالنا لا يكشفون أوراقهم على المائدة أبدًا .



اجتاحت موجة عارمة من الغضب نفس (سونيا جراهام) ، حينما استدارت لتحدق فى (أدهم) ، الذى وقف هادئًا ..

انتزعت (كلوديا) نفسها من دهشتها ، وهتفت فى استنكار :

ـــ من هذا ؟.. ولماذا يخاطبك باسم (سونيا) ؟

أشارت (سونيا) إلى (أدهم) ، وهى تقول فى عصبية :

ـــ إنه ذلك الشيطان المصرى ، الذى حدثتك عنه ، وهذا هو الاسم الذى يعرفنى به .

ظلّت (كلوديا) تحدّق فى وجه (أدهم) لحظة ، قبل أن تبتسم ، وهى تقول فى هدوء :

ـــ ولكنك لم تقولى إنه يمتلك كل هذا القدر من الوسامة يا عزيزتى (برجيت)

انحنى (أدهم) فى لهجة مسرحية ، وهو يقول فى سخرية :

ـــ شكرًا لإطرائك الأنيق يا سيّدتى .

برقت عينا (سونيا) فجأة ببريق ظافر ، واتسعت ابتسامة (كلوديا) الواثقة المغرورة ، وانبعث من خلف (أدهم) بغتة صوت بارد يقول فى خشونة :

ـــ يروق لى هذا الوضع يا مسيو (أدهم) ، ألق مسدسك قبل أن تعتدل ، فسيؤسفنى أن يثقب رجالى حلتك الجديدة الأنيقة .

رفع (أدهم) عينيه فى هدوء ، وطالعته فوهات خمسة مدافع رشاشة ، مصوَّبة إلى جسده ، ورأى رجلًا وسيمًا ، فى أواخر الثلاثينات من عمره ، يستطرد فى هدوء واثق :

ـــ لقد وقع الفأر فى المصيَدة ، ولن يغادرها حيًّا أبدًا .

* * *



٥ ـــ رفاق الشيطان ..

شعر (أدهم) بدهشة حقيقية ، وهو يعتدل فى بطء وهدوء ، ويدير بصره بين الرجال الخمسة ، الذين يحيطون به ..

كان اثنان منهم يقفان خلفه ، فى المسافة القصيرة بينه وبين حوض السباحة ، والثالث على بعد مترين إلى يمينه ، والرابع إلى يساره ، فى حين وقف الخامس أمامه ، إلى جوار زعيمه ، الذى انتقل ليجلس فى هدوء ، بين (سونيا) و (كلوديا) ، وقد بدا شديد الثقة والوسامة ، بوجهه الحليق ، وملامحه الهادئة ، وعينيه الزرقاوين ، وذلك الشعر الأسود الفاحم ، الذى تهاوت خصلة ناعمة منه على جبينه الأبيض ، فبدا كواحد من نجوم السينما الفرنسية ، الذى بلغت شهرته الآفاق ، خاصةً حينما ابتسم ، وهو يكرِّر فى هدوء :

ـــ طلبت منك أن تلقى مسدسك يا مسيو (أدهم) .

ألقى (أدهم) مسدسه جانبًا ، وهو يبتسم فى سخرية ، قائلًا :

ـــ دعنى أخمِّن .. إنك (مارسيل بيكر) .. أليس كذلك ؟

رفع (مارسيل) حاجبيه فى دهشة مصطنعة ، وهو يقول :

ـــ لم أكن أظن أن شهرتى قد بلغتكم أيها المصريون .. بل إنه أنا ، هل تروق لك مقابلتى شخصياً .

أجابه (أدهم) فى برود :

ـــ مقابلة الأوغاد لا تروق لى أبدًا .

أطلق (مارسيل) ضحكة هادئة ، وكأنما يشاهد فاصلًا فكاهيًا من مسرحيّة هزليّة ناجحة ، قبل أن يقول :

ـــ أما أنا فتروق لى دوْمًا مقابلة هؤلاء ، الذين يحتفظون بهدوء أعصابهم أمام المخاطر .. إنك تروق لى يا مسيو (أدهم) .

أجابه (أدهم) فى سخرية :

ـــ أما أنت فلا .

هتفت (سونيا) فى انفعال :

ـــ أطلق النار عليه يا (مارسيل) .. اقتله قبل أن ينجح فى الفرار .

أطلقت (كلوديا) ضحكة عابثة ، وهى ترمق (أدهم) بنظرات إعجاب ، فى حين رفع (مارسيل) حاجبيه ، وهو يقول فى دهشة ضاحكة :

ـــ الفرار ؟!.. ماذا دهاك يا عزيزتى (برجيت) .. إننا نملك زمام الموقف تمامًا ..

لقد وقع الرجل فى المصيدة كما ترين .

هتفت (سونيا) فى شراسة :

ـــ أنا صاحبة الفضل فى ذلك يا (مارسيل) .

أومأ (مارسيل) برأسه ، على نحو يوحى بالجدّية ، وهو يقول :

ـــ هذا صحيح .

ثم رفع عينيه إلى (أدهم) ، مستطردًا فى اهتمام :

ـــ يبدو أن صديقتنا (برجيت) تفهمك جيِّدًا يا مسيو (صبرى) .. لقد قدّرت أن ذهاب صديقتك إلى (جوزفين) ، يعنى أنك تعلم الكثير ، ولقد توقّعت أن تنتبه زميلتك إلى تعقّب (شيفاليه) لها ، وأنك ستقتحم منزلها هذا المساء ، وطلبت منا أن نعدّ لك هذه المصيدة الأنيقة .

غمغم (أدهم) فى سخرية ، وهو يتطلّع إلى (سونيا) :

ـــ لقد خضنا جولات عديدة أنا وصديقتكم (برجيت) ، ولقد كانت الهزيمة من نصيبها دوْمًا .

هتفت (سونيا) فى شراسة :

ـــ هذه الجولة ستكون نهاية المباراة أيها المغرور .

ابتسم (مارسيل) ، وهمّ بقول شيء ما ، إلا أن الكلمات احتبست فجأة فى حلقه ، حينما انبعث صوت (منى) من مكان ما ، وهى تقول فى سخرية :

ـــ فى هذه الحالة سيعلن القدر فوز (أدهم صبرى) أيتها الأفعى .

* * *

سار كل شيء فى سرعة مذهلة ، وتتابع عجيب ، قبل أن تتلاشى حروف آخر كلمات (منى) ، فقد استدار رجال (مارسيل) الخمسة إلى حيث تقف هى ، وتشتت انتباههم بينها وبين (أدهم) لحظة ..

وكانت الفرصة المثالية لرجل المستحيل ..

قفز (أدهم) فجأة إلى الوراء ، ودار على عقبيه فى مرونة مدهشة ، وأمسكت أصابعه الفولاذية بماسورتى مدفعى الرجلين ، اللذين يقفان خلفه ، ثم ارتفعت قدماه فى الهواء ، وركل الرجلين فى صدريهما ، فدفعهما ليسقطا فى حوض السباحة ، وقد فقد كل منهما مدفعه الرشاش ، وفى نفس اللحظة أطلقت (منى) رصاص مسدسها الصغير ، فأصابت

المدفع الرشاش ، الذى يمسك به الرجل الذى يقف إلى يساره ، وأطاحت به ، ثم استدارت فى سرعة ومرونة ، وأطلقت الرصاص على الرجل الذى يقف إلى يمينه ، فأصابت كفه وحطمتها ، فترك مدفعه يسقط ، وهو يطلق صرخة ألم مفزعة ، فى حين انزلق (أدهم) فجأة ، والتقط مسدسه ، واعتدل ليطلق منه رصاصة ، أصابت مدفع الرجل الذى يقف إلى جوار (مارسيل) ، الذى قفز من مكانه ، وهو يحدّق فى (أدهم) و (منى) بذهول ، واتسعت عينا (كلوديا) ، وسقطت كأسها من بين أصابعها ، وهى تتراجع فى ذعر ، وارتسم مزيج من الحنق والغضب فى ملامح (سونيا) ، وقفز (أدهم) واقفًا على قدميه ، وصوّب مسدسه إلى الجميع ، وهو يقول فى سخرية :

ـــ هل رأيت كيف تنقلب الأمور فى سرعة ، يا ملك مجرمى (باريس) ؟

عاد (مارسيل) يتطلّع إلى الموقف فى ذهول ، وإلى رجاله الخمسة ، الذين أصبحوا لا حول لهم ولا قوة ، فى حين صاحت (سونيا) فى ثورة :

ـــ ولقد حذّرتك .. كان ينبغى أن تقتله على الفور ، وبلا تردُّد .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

ـ إنه لا يستحق اللوم يا عزيزتى (سونيا) ، فرجال العصابات يعملون ، ويتعاملون من منطلق القوّة وحدها ، ولا يدركون شيئًا عمّا يسمّى بالتكتيك الحربى ، والخطة الاحتياطيّة .. لقد كنت أتوقّع محاولة للخداع ، فاتفقنا أنا وزميلتى العزيزة على أن أقتحم المكان وحدى ، فى حين تبقى هى متأهّبة للتدخل فور حدوث أية مفاجآت ، ولعلكم تعترفون بأنها قد أحسنت التصرّف على نحو رائع ، فلقد جاءت من الباب الرئيسى ، ونجحت فى فتح الرتاج فى مهارة ، فحاصرناكم ، وأجبرناكم على التسليم .

استعاد (مارسيل) هدوءه ، وعاد يبتسم ، وهو يقول :

ـ رائع .. ألم أقل لك إنك تروق لى يا مسيو (أدهم) ؟

وعادت (كلوديا) تصب لنفسها كأسًا أخرى من الخمر ، وهى تقول فى هدوء :

ـ إذن فقد كانت المخابرات المصريّة تعلم كل شىء منذ البداية .

هزّ (أدهم) كتفيه فى لامبالاة ، وهو يقول :

ـ ليس تمامًا ، ولكنها ستعلم كل التفاصيل بعد ساعة واحدة يا عزيزتى (كلوديا) .

تألّقت عينا (سونيا) ببريق غامض عجيب ، وهى تقول :

ـ إذن فأنت لم تبلغ الأمر بعد .

أجابها بابتسامة ساخرة :

ـ ليس بعد يا عزيزتى (سونيا) .. كان ينبغى أن أتيقّن أولًا و ..

قاطعه فجأة صوت أنثوى ساخر ، يقول :

ـ جميل منك أن أوضحت يا مسيو (أدهم) .

وفجأة برز من حجرات المنزل المختلفة أكثر من عشرة رجال ، تتصدّرهم (جوزفين) ، والجميع يصوّبون مدافعهم الرشاشة إلى (أدهم) و (منى) ، وعيونهم تنطق بالشراسة والتحفّز ، وأصابعهم لا تحتاج لأكثر من همسة ، لتطلق رصاصاتهم بلا رحمة ..

واسترخى (مارسيل) فى مقعده ، وأشعل سيجارًا فاخرًا بقدّاحة من الذهب الخالص ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة واسعة ، تجمع ما بين السخرية ، والشماتة ، والتهكّم والدهاء ، وهو يقول فى هدوء :

ـ والآن يا مسيو (أدهم) .. هلّا أعدت محاضرتك عن التكتيك الحربى ، والخطة الاحتياطية ؟!

* * *

شعرت (منى) بعاصفة من الحَنَق تغمر قلبها ، ولم يسعها أمام تلك المدافع الرشّاشة المصوّبة إليها ، إلّا أن تلقى مسدّسها الصغير فى سخط ، وابتسم (أدهم) ابتسامة ساخرة ، لم تخف ما يحتمل فى نفسه من مرارة ، وهو يلقى مسدّسه بدوْره ، فى حين نفث (مارسيل) دُخان سيجارته ، وهو يستطرد فى هدوء ساخر :

ـــ من الواضح أن فكرتك عن رجال العصابات خاطئة يا مسيو (أدهم) ، فقد تنطبق نظرية القوّة هذه على صغار المجرمين ، ولكن الحصول على لقب (ملك المجرمين) لا يتأتّى إلّا بالذكاء والقوّة معًا .

ثم نهض من مقعده ، وهو يتابع قائلًا :

ـــ إننى لم أحظ بهذا اللقب عبثًا يا مسيو (أدهم) ، ولكن لأننى أضع فى خططى دائمًا كل الاحتمالات ، وأعدّ مع كل خطة أخرى احتياطية ، تؤمّن لى ولرجالى النجاة ، مهما بلغت قوّة الخصم ، أو بلغ ذكاؤه .

واتسعت ابتسامته الساخرة ، وهو يُردِف :

ـــ وكان سيؤسفنى فى الواقع ، لو أنك لم تلتق بـ (نابليون) .

أجابه (أدهم) فى سخرية :

ـــ (نابليون) ؟!.. أعاد قائدكم إلى الحياة ؟.. أم أنه اسم أحد أوغادك ؟

حافظ (مارسيل) على ابتسامته ، وهو يقول :

ـــ لن تلبث أن تعلم بنفسك يا مسيو (أدهم) .

وفى حركة سريعة مفاجئة ، التقط (مارسيل) من جيب سترته الأنيقة بخّاخة صغيرة ، ضغط على قمتها ، فانبعث من ثقبها الصغير سيل من الرّذاذ ، ذى الرائحة النفّاذة ، غمر وجه (أدهم) ، وتسلّل عبر أنفه إلى مخه ، وبعث فيه دُوَارًا عجيبًا ، حاول أن يقاومه فى صعوبة وإصرار ، وهو يتطلّع إلى (منى) ، التى فعلت بها (چوزفين) المثل ، ورآها تهوى فاقدة الوعى ، بين ذراعى أحد رجال (مارسيل) ، فهتف فى غضب :

ـــ أيها الأوغاد !!

ثم أظلمت الدنيا أمام عينيه ، وسقط فاقد الوعى ، عند قدمَىْ (مارسيل بيكر) ..

* * *



وهو يتطلَّع إلى (منى) ، التى فعلت بها (جوزفين) المثل ، ورآها تهوى فاقدة الوعى بين ذراعى أحد رجال (مارسيل) ..

٦ — زئير (نابليون) ..

كان أوَّل ما تسلَّل إلى عقل (أدهم) ، وهو يستعيد وعيه فى بطء ، زئير قوى أعاد إليه ذكرى عملية سابقة فى أدغال (أفريقيا)(*) ، ففتح عينيه فى بطء ، لتطالعه صورة مهتزَّة ، لجسم ضخم يتحرَّك فى عصبية واضحة ، جيئة وذهابًا ، داخل قفص معدنى كبير ، ثم لم يلبث ذهنه أن استعاد صفاءه فجأة ، فتبيَّنت له ملامح ذلك الجسم الضخم ، الذى لم يكن سوى أسد أفريقى عملاق ، يتطلَّع إليه من خلف قضبان قفصه ، وهو يزأر فى وحشية ، ويتحرَّك فى توتر بالغ ..

وأدار (أدهم) عينيه إلى جسد زميلته (منى) ، التى رقدت إلى جواره فاقدة الوعى ، وأدرك فى تلك اللحظة أن كليهما مقيَّد المعصمين خلف ظهره ، وأن قيوده هو على الأقل متينة محكمة ، ولم يكد يحاول التخلُّص منها ، حتى سمع صوت (مارسيل) من خلفه ، يقول فى هدوء ساخر :

— لا تحاول يا مسيو (أدهم) .. لن يمكنك ذلك .

(*) راجع قصة (عملية الأدغال) .. المغامرة رقم (٥٧) .

أدار (أدهم) عينيه فى هدوء إلى مصدر الصوت ، وشاهد (مارسيل) يجلس فى نهاية الحجرة الواسعة الخالية ، وهو يبتسم ابتسامته الساخرة الباردة ، وحوله وقفت الشقراوات الثلاث (سونيا) ، و(كلوديا) ، و(جوزفين) ، والجميع يتطلّعون إليه فى شماتة ، فرسم على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وهو يقول :

— رائع .. المشهد يبدو مثاليًا لصورة دعائيّة ، تحمل اسم (ملائكة الجحيم) .

تألّقت عينا (كلوديا) ، وهى تتطلّع إليه فى إعجاب واضح ، فى حين زمّت (سونيا) شفتيها ، وبدت (جوزفين) كتلة من الثلج البارد ، أما (مارسيل) فقد حافظ على ابتسامته ، وهو يقول :

— إنك تروق لى حقًا يا مسيو (أدهم) ، فأنت لا تفقد روح الدعابة أبدًا .

أجابه (أدهم) فى تحدّ :

— كيف يمكن أن أفقدها أمام مشهدكم الهزلىّ هذا ؟

زأر الأسد فى قوة فى تلك اللحظة ، فالتفت إليه (أدهم) فى لامبالاة ، فى حين لوّح (مارسيل) بكفه ، وهو يقول :

— لا تلتفت إلى (نابليون) يا مسيو (أدهم) ، فثورته

ترجع إلى الجوع الشديد ، فهو لم يتناول طعامًا منذ يومين ، وهو يتحرّق شوقًا لتذوّق لحم رجال المخابرات المصرية .

تطلّع (أدهم) إلى الأسد الضخم ، الذى بدا شديد الثورة والجوع ، ثم التفت إلى حيث (مارسيل) والشقراوات الثلاث ، ورمق (جوزفين) بنظرة ساخرة ، وهو يقول :

— من الطريف أن يلتقى المرء .. بـ (نابليون) و (جوزفين) دفعة واحدة ، بعد أن قرأ عنهما الكثير فى كتب التاريخ(*) .

ابتسم (مارسيل) ، وهو يقول :

— ستبلغ سعادتك ذروتها إذن ، حينما تلتقى بالإمبراطور وحده ، ولكن حذارِ أن تُطيل المناقشة ، فهو يتحدّث بأنيابه ومخالبه ، ويستخدم لسانه للتذوّق فقط .

(*) نابليون بونابرت (١٧٦٩-١٨٢١) : إمبراطور فرنسا ، وُلد فى (كورسيكا) ، وتخرّج ضابطًا للمدفعيّة فى (فرنسا) ، أصبح قائدًا للحملة الإيطالية (١٧٩٦-١٧٩٧) ، إبان الثورة الفرنسية ، قاد الحملة الفرنسية على (مصر) (١٧٩٨) ، وخلفه فيها (كليبر) ، ثم (مينو) أقام القنصلية فى (فرنسا) ، وأعلن نفسه إمبراطورًا (١٨٠٤) ، انتهت انتصاراته بهزيمته فى (واترلو) (١٨١٥) ، ونفى إلى جزيرة (سانت هيلانة) ، حيث تُوفّى هناك .

ثم أشار إلى القفص ، وهو يردف فى هدوء :

ـ هذا القفص مزوّد برتاج خاصّ ، من أروع ما صنع مسيو (دوبليه) ، أشهر صانع أقفال فى (فرنسا) ، وهو مزوّد بجهاز إليكترونى خاصّ ، يمكننى من فتحه عن بعد ، بواسطة جهاز تحكّم آلىّ (ريموت كنترول) ، مع ميقات خاصّ ، يفتح الرتاج تلقائيًا ، بعد دقيقتين من ضغطى على زرّ جهاز التحكم الآلىّ ، وهذه الحجرة كما ترى لا تحوى أية منافذ أو أبواب ، فيما عدا بابًا واحدًا من الفولاذ ، محكم إغلاقه ، ويقف خلفه دوْمًا حارسان مسلحان ، وهناك فى الركن توجد كاميرا تليفزيونية ، تسمح لنا بمراقبة ما سيحدث هنا ، ونحن نحتسى كئوسنا فى الحجرة المجاورة .

ونفث دُخان سيجاره ، قبل أن يستطرد فى هدوء :

ـ باختصار ، من المستحيل أن يفرّ رجل من هنا ، حتى ولو كان أنت يا مسيو (أدهم) .

ظهر الأسف على وجه (كلوديا) ، وظلّ وجه (جوزفين) باردًا كالثلج ، فى حين ارتسمت الشماتة على وجه (سونيا) ونهض (مارسيل) ، وهو يقول فى هدوء :

ـ وداعًا يا مسيو (أدهم) .. سيسوءنى فقدك كثيرًا .

ثم ضغط زر جهاز التحكم الآلىّ ، وهو يقود الشقراوات الثلاث خارج الحجرة ، مكرّرًا :

ـ وداعًا يا مسيو (أدهم) .

وأغلق الباب الفولاذىّ خلفه فى إحكام ..

* * *

كان جسد (سونيا) يرتجف من فرط الانفعال ، وهى تتحرّك فى الحجرة المجاورة جيْئةً وذهابًا ، حينما سألها (مارسيل) فى هدوء :

ـ ماذا بك يا عزيزتى (برجيت) ؟

لوّحت بذراعها فى عصبية ، وهى تقول :

ـ لا يمكننى أن أصدّق أننا سنتخلّص من (أدهم صبرى) بهذه السهولة .. كنت أفضل أن نطلق النار على رأسه مباشرة .

ضحك (مارسيل) ، وهو يقول :

ـ اطمئنى يا عزيزتى (برجيت) .. إن أنياب (نابليون) أكثر قوة من طلقات الرصاص .

هتفت فى حَنَق ، وهى تشير إلى شاشة جهاز قريب :

ـ دعنا نتابع ما يحدث على الأقل .

قلبت (كلوديا) شفتيها فى اشمئزاز ، وهى تقول :

— كلَّا يا عزيزتى (برجيت) .. إننى أكره رؤية هذه المشاهد الوحشية ، ولقد سبق لى مشاهدة ما تبقى من رجل ، بعد أن انتهى منه (نابليون) ، فلم أنعم بنوم هادئ لشهر كامل .

وغمغمت (جوزفين) فى برود :

— لا أحد ينجو من أنياب (نابليون) ومخالبه .

واعتدل (مارسيل) ، وهو يقول :

— ثم إنه من الضرورى أن تشرحى لنا خطة العملية القادمة ، فأنا أتلهَّف شوقًا لمداعبة أول مليون فرنك نربحه من شركتنا الجديدة .

زفرت (سونيا) فى عمق ، لتسترجع هدوءها ، قبل أن تقول :

— أنتم على حق .. لقد انتهينا من (أدهم صبرى) ، وعلينا أن نعود للاهتمام بمنظمتنا .

وجلست لتشعل سيجارتها ، وتنفث دخانها فى قوة ، قبل أن تستطرد :

— استمعوا إلىَّ جيِّدًا ، وسأخبركم بخطتى للحصول على أسرار مصر العسكريَّة ..

* * *

لم يكد (مارسيل) يغلق الباب الفولاذىّ خلفه ، حتى شرع (أدهم) يدرس الموقف فى سرعة ..

كان أمامه أقل من دقيقتين ، قبل أن يُفتح الرتاج الإليكترونى ، وينطلق (نابليون) ليفترس ضحيته ، وكان هذا الأخير يتحرَّك فى قفصه فى ثوْرة عارِمَة ، وزئيره يرتفع ليدوِّى فى الحجرة المغلقة على نحو مثير للرُّعْب ، و (منى) لم تستعد وعيَها بَعْدُ ، والكاميرا التليفزيونية المثبَّتة فى ركن الحجرة تنقل ما يدور فى آليَّة عنيدة ، وقيوده أكثر إحكامًا من أن ينجح فى التخلُّص منها بسرعة ، ويداه معقودتان خلف ظهره ..

وقفز (أدهم) واقفًا على قدميه ، وأسرع نحو (منى) ، وأولاها ظهره ، ثم ثنى ركبتيه ، وهبط بجسده يمسك بذراعها فى قوَّة ، وجذبها إلى نفس الرُّكن ، الذى تعلوه الكاميرا التليفزيونية ، وهو يغمغم :

— أعتقد أن هذا هو الركن الوحيد ، الذى لا تنقل الكاميرا ما يحدث فيه .

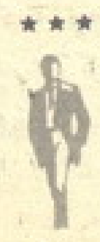
وبسرعة انحنى يحلّ قيود (منى) من خلف ظهره ، وانطلقت أصابعه تعمل فى خفة وسرعة ومهارة ، وعيناه ترقبان الرتاج الإليكترونى ، والليث الثائر ، فى قلق ..

وأخيرًا أمكنه حل قيود (منى) ، وجذب الحبل الذى كان يقيّدها ، واحتفظ به فى قبضته ، ثم شرع يحاول حل قيوده ، فى سرعة وقلق ..

وفجأة دوّى فى الحجرة صفير خافت ، وتحرّك الرتاج الإليكترونى ، ثم ارتفع صرير باب القفص المعدنى ، وهو يرتفع فى بطء ، وتركّزت عينا (أدهم) على عينى (نابليون) ، الذى كشّر عن أنيابه ، وزأر فى قوة ووحشية ، وهو يغادر قفصه ، ثم وثب نحو (أدهم) و (منى) وثبة هائلة ، رأى (أدهم) فيها الموت يطلّ من الأنياب الحادّة اللامعة ..

أنياب (نابليون) ..

* * *



وتركّزت عينا (أدهم) على عينى (نابليون) ، الذى كشّر عن أنيابه ، وزأر فى قوة ووحشية ، وهو يغادر قفصه ..

٧ — اللّيْثان ..

استرخت (سونيا) فى مقعدها الوثير ، وخامرها شعور بالارتياح ، وهى تتصوّر أنياب (نابليون) ، وهى تمزّق (أدهم) و (منى) ، فنفثت دُخان سيجارتها فى عُمق ، وتطلّعت إلى وجوه (مارسيل) ، و (كلوديا) ، و (جوزفين) ، وهى تقول :

— منذ عدة سنوات قريبة ، قررت مصر تطوير الصناعات الحربيّة بها ، بحيث لم تعد تقتصر على إنتاج الرّصاصات ، والأسلحة الخفيفة ، بل قفزت إلى تصنيع الهليوكوبتر الحربية ، والدبّابات ، وتطويرها ، ومنذ عدة أشهر ، بدأ خبراء التصنيع الحربىّ فى مصر ، فى تطوير المقاتلة الأمريكية (فانتوم — ٢٠) ، والمعروفة باسم (تايجر شارك) ، ولقد أدخلوا بها عدة تعديلات ، جعلت منها أخطر مقاتلة حربية فى التاريخ الحديث ، ولقد أثار هذا انتباه ومخاوف بعض الدول ، التى تتابع تطوّر الإنتاج الحربىّ فى مصر بقلق بالغ ، وعلى رأسها (إسرائيل) ، على الرغم من معاهدة السّلام ، التى تربط بين الدولتين فى الوقت الحاضر ، وسيكون من دواعى

ارتياح هذه الدول ، أن تحصل على التصميمات الجديدة ، التى وضعها الخبراء المصريّون لـ (تايجر شارك) ، وهذه هى عمليتنا القادمة .

هتف (مارسيل) فى شغف :

— ولكن انتزاع المعلومات من المصريّين أمر شاق ، فصحيح أنهم يميلون إلى الثرثرة ، ولكن هذا لا ينطبق على العسكريّين منهم ، ولا على القائمين بالعمل فى مصانعهم الحربية .

ابتسمت (سونيا) فى ثقة ، وهى تقول :

— وهنا تكمن براعة الخطة .

قلبت (كلوديا) شفتيها ، وهى تقول :

— من الأفضل أن تشرحى الأمر فى سرعة يا عزيزتى (برجيت) ، فأنا لا أتميّز بالصبر ، ثم إننى أكره أسلوب الألغاز والتطويل ، ولا أشعر فيه بأى شغف على الإطلاق ، بل على العكس يصيبنى بالملل .

عقدت (سونيا) حاجبيها فى ضيق ، إلّا أن صوتها بدا هادئًا ، وهى تعتدل ، قائلة :

— خطتى تعتمد — باختصار — على أن تقيم (كلوديا)

عرضًا للأزياء في (القاهرة) ، بصفتها واحدة من صاحبات أشهر بيوت الأزياء الفرنسية ، وسيتم دعوة عدد من كبار الشخصيات المصرية لحضور العرض ، ومن بين هؤلاء الأشخاص ستتم دعوة بعض كبار قادة الجيش ، ومن بينهم ذلك المسئول عن التعديلات الجديدة لـ (تايجر شارك) ، وخلال العرض ، وبوسيلة محكمة ، مدروسة في دقّة ، سيتم اختطاف ذلك الرجل ، وإبداله بعميل لنا ، كان يقيم سابقًا في مصر ، وأجريت له عملية تجميل ، جعلته نسخة طبق الأصل من ذلك المسئول ، بحيث يمكنه في سهولة ، الاطلاع على تصميمات التعديلات الجديدة ، وتصويرها ، ونقلها إلينا ، دون أن يشعر أحد بما حدث .

داعب (مارسيل) ذقنه بأصابعه ، وهو يتطلّع إلى (سونيا) ، وبدا الاهتمام على وجه (جوزفين) ، في حين مطّت (كلوديا) شفتيها ، وهي تقول :

ــ خطة سخيفة ، تصلح كفيلم سينمائي ، ولكنها لا تصلح للتنفيذ في الواقع .

سألتها (سونيا) في برود :

ــ لماذا يا عزيزتي (كلوديا) ؟

أجابتها (كلوديا) في عصبيّة واضحة :

ــ لأن الإجراءات الروتينية المعقّدة في مصر ، قد تمنعنا من إقامة عرض الأزياء هذا قبل ستة أشهر على الأقل ، حتى يتسنّى لنا الحصول على عشرات الموافقات ، والتوقيعات ، والأختام الرسمية ، والبحث عن المسئول الذي ينبغي اختطافه ، والرجل الذي سيحل محله ، وإجراء عملية التجميل اللازمة له ، قد يستغرق ستة أشهر أخرى و..

قاطعتها (سونيا) في هدوء ، وهي تبتسم ابتسامة واثقة :

ــ لقد انتهى إعداد ذلك يا عزيزتي .. لقد حصلت على موافقة رسمية ؛ لإقامة عرض الأزياء في قلب (القاهرة) ، وأعرف المسئول الذي ننوي اختطافه ، ولقد أجريت عملية التجميل لعميلنا بالفعل ، ويتم تدريبه الآن على أسلوب المسئول وطريقة حديثه .

رفع الجميع حواجبهم في دهشة ، وهم يتطلّعون إليها ، قبل أن تهتف (كلوديا) في حنق :

ــ متى فعلت كل هذا ؟.. وكيف ؟

أجابتها (سونيا) في هدوء :

ــ إنني أعد الخطة منذ أكثر من ثلاثة شهور يا عزيزتي (كلوديا) .

صاحت (كلوديا) فى حنق :

ــ حَذَارِ أن تفعل هذا مرة أخرى يا (برجيت) ، فأنا أكره أن أكون آخر من يعلم ، خاصةً وأننى أموّل كل العمليات من حسابى الخاص .

عقدت (سونيا) حاجبيها ، وهى تقول فى جِدّة :

ــ ستربحين أضعاف ما أنفقت ، لو نجحت هذه العملية يا (كلوديا) .

ثم عادت تسترخى فى مقعدها ، وتنفث دُخان سيجارها ، وهى تقول فى هدوء :

ــ المهم أن ننجح فى اختراق ستار الأمن والسرّية فى مصر ..

* * *

كانت لسرعة استجابة (أدهم صبرى) المذهلة ، التى يعمل على تنميتها منذ أكثر من ثلاثين عامًا ، الفضل الأوّل لنجاته من مخالب (نابليون) وأنيابه فى الهجمة الأولى ، فلم يكد الليث يثب نحو فريسته ، حتى قفز (أدهم) واقفًا على قدميه ، وأعقب ذلك بقفزة أخرى هائلة ، استخدم فيها كل

قوته ومرونته ، ليعبر فوق رأس الليث ، الذى توقّف لحظة أمام قدرات خصمه ، التى لم يعهدها فى بنى البشر من قبل ، ثم استدار يواجهه مزمجرًا فى مزيد من الثّورة والوحشيّة ، إلا أن (أدهم) انطلق يعدو بكل ما يملك من قوّة ، وانثنى جسده دفعة واحدة ، ثم عاد يفرد ليدفع به فى قفزة أخرى مدهشة ، اعتلى بها قفص الأسد ، الذى أخذ يزأر فى غضب ، ويقفز محاولاً نيل خصمه بمخالبه ..

وتراجع (أدهم) إلى الركن البعيد من القفص ، وجلس يعالج قيوده فى هدوء ، وهو يقول :

ــ ليس بعد يا ملك الأدغال .. أمهلنى بعض الوقت لأتخلّص من قيودى ، فليس من شيمة النبلاء مثلك افتراس من لا حوْل لهم ولا قوّة .. أم أن صحبتك لهذا الوغد (مارسيل) قد أفسدت أخلاقك ؟

زمجر (نابليون) مرّةً أخرى ، وكأنما يعلن عن استيائه من سخرية خصمه بقوّته ، ثم لم يلبث أن استدار إلى حيث ترقد (منى) ، فاقدة الوعى ، واتجه نحوها ، ومال بأنفه يتشمّم جسدها الساكن ..

وزمجر (أدهم) بدوره ، وأخذ يعالج قيوده فى سرعة ، وهو يقول :

ــ حذارِ أن تمسّ شعرة واحدة منها أيها الإمبراطور ، وإلّا جعلتك تخفى ذيلك بين فخذيك ، وتعدو ذُعرًا ، عندما تلتقى بأول فأر ، بعد أن أنتهى منك .

ولكنه لم يكن يشعر بالخوف .. فلقد كان يعلم أن الأسد حيوان مترفّع .. يأبى أن يأكل الجيفة ، حتى ولو كان يتضوّر جوعًا ، وأنه يترفّع عن التهام أى جسد ساكن ، وأن الحيلة التى يعمد إليها الأفارقة ، حينما يواجههم أسد جائع ، وهم عُزّل من السّلاح ، هى أن يتمدّدوا أرضًا ، ويتظاهروا بالموت ، فيتجاوزهم الأسد شامخ الرأس ، دون أن يمسّهم بسوء ..

كان يعلم أن (منى) بخير ، ما دامت فاقدة الوعى ..

وبالفعل ، ترك الليث جسد (منى) ، وعاد يلتفت إليه ، وهو يزمجر ، ويزأر فى غضب وشراسة ، وقد جعله الجوع أكثر ثورة ووحشيّة ..

وأخيرًا نجح (أدهم) فى حلّ قيوده ، واعتدل واقفًا فوق متن القفص المعدنى ، ولوّح بقيوده أمام الكاميرا التليفزيونية ، وهو يقول فى سخرية :

ــ تُرى هل يؤسفك أن تخلصت من قيودى أيها الوغد (مارسيل) ؟

وفجأة ندّت من صدر (منى) آهة ألم ، ورفعت رأسها فى ضعف ، وهى تغمغم :

ــ يا إلهى !!.. أين أنا ؟.. ماذا حدث ؟

وتجمّدت الدماء فى عروق (أدهم) ، حينما رأى (نابليون) يلتفت إلى (منى) ، ثم رأى جسدها ينتفض فى قوّة ، والرعب يرتسم فى محياها الرقيق بأبشع صوره ، عندما وقع بصرها على (نابليون) ، وصك مسامعها صوت زئيره المخيف ، قبل أن يثب نحوها ، ومخالبه مشهورة ، وأنيابه الحادّة تلتمع فى ضوء الحجرة ..

* * *

نهض (مارسيل) ، وقد امتلأت نفسه بالحماس ، وهو يقول :

ــ ومتى ينبغى لـ (كلوديا) أن تسافر إلى مصر ؟

أجابته (سونيا) فى هدوء :

ــ فجر غد .

قفزت (كلوديا) من مقعدها ، وهى تصيح فى غضب :

ــ وَمَنْ قال إننى سأطيع هذه الحماقات ؟..

رفع (مارسيل) حاجبيه فى دهشة ، وهو يقول :

ــ هل ترفضين أداء دورك يا (كلوديا) ؟

لوّحت بذراعها ، وهى تقول فى عصبية :

ــ إننى أكره أن أتحرّك كالدُمية ، فأنا التى أنفق على المنظمة حتى هذه اللحظة ، ثم متى أعدّ الأزياء التى سأقيم بها ذلك العرض فى (القاهرة) ؟

قالت (سونيا) فى هدوء :

ــ لقد تم شحن الأزياء منذ ساعتين إلى القاهرة ، وجواز سفرك معدّ ، ولقد حصلنا لك على تأشيرة الدخول إلى (مصر) ، وتذاكر السفر و ..

قاطعتها (كلوديا) بصرخة هادرة :

ــ إننى أبغض هذا الأسلوب يا (برجيت) .

نهضت (سونيا) ، وهى تبتسم ابتسامة مداهنة ، وربّتت على كتف (كلوديا) ، وهى تقول :

ــ لقد أردت ألا أقلقك بتلك التفاصيل يا عزيزتى .

عادت (كلوديا) تهدر فى ثورة :

ــ إننى أبغض هذا الأسلوب .

هزّت (سونيا) كتفيها فى استسلام مصطنع ، وعادت تجلس ، وهى ترمق (مارسيل) بنظرة جانبية ، قائلة :

ــ لا بأس يا عزيزتى (كلوديا) ، سنلغى العملية كلها .

هتفت (جوزفين) فجأة :

ــ مستحيل !. ليس بعد أن أعدّ كل شىء بهذا الإتقان !

رمقتها (كلوديا) بنظرة نارية ، وهى تقول فى صرامة :

ــ لن يعامل أحد (كلوديا موريس) كالدُمية .

عقد (مارسيل) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ــ بل ستقومين بالعملية يا (كلوديا) .

التفتت إليه (كلوديا) ، وهمّت بالصراخ فى وجهه ، لولا أن أردف فى لهجة جمّدت الدم فى عروقها :

ــ لن توقف عملية رائعة كهذه ، لمجرّد أنك ترفضين هذا الأسلوب .. سنراعى ذلك فى العملية القادمة ، وستكونين على علم بكل خطوة تتخذ ، أما الآن فستقومين بالعملية كما خطّطت لها (برجيت) ، وإلّا انسحبت أنا ورجالى من المنظمة على الفور .

امتقع وجه (كلوديا) ، وارتعدت شفتاها لحظة ، ثم لم تلبث أن غمغمت فى حنق :

ــ حسنًا .. سأقوم بالمهمة .

ثم التفتت إلى (سونيا) ، مردفة :

ــ ولكننى لن أغفر لك هذا .

أشاحت (سونيا) بوجهها ، لتخفى ابتسامة الظفر التى

ارتسمت على شفتيها ، فى حين ابتسم (مارسيل) فى ارتياح ، وهو يقول :

ـــ رائع .. والآن دعونا ننصرف ، فستحتاج (كلوديا) إلى الكثير من الوقت ، لتعدّ نفسها قبل السفر .

نهض الجميع استعدادًا للانصراف ، إلّا أن (سونيا) هتفت فى حِدّة :

ـــ دعونا نرى ما حدث لـ (أدهم صبرى) وزميله أولًا .

ثم استدارت إلى الشاشة ، وأضاءتها ، وعقدت حاجبيها ، وهى تقول :

ـــ ما هذا ؟!.. لا يوجد أحد فى الحجرة !.. إننى لا أسمع حتى زئير (نابليون) !

ضحك (مارسيل) ، وهو يقول :

ـــ يا لـ (نابليون) اللعين !! لا ريب أنه يلتهمهما الآن فى ركنه المفضّل ، أسفل الكاميرا .. إنه يفعل ذلك دائمًا ، وكأنما يخجل أن تلتقط عدسات التصوير صورته ، وهو يتناول طعامه .

غمغمت (سونيا) فى شك :

ـــ وماذا لو أنهما قتلا (نابليون) ، ونجحا فى الفرار ؟

هتف (مارسيل) فى سخرية :

ـــ قتلاه ونجحا فى الفرار ؟!.. يا لها من دعابة يا عزيزتى (برجيت) !!.. إن حجرة (نابليون) تجاور حجرتنا تمامًا ، ولو أنهما فعلا لكنا أول من يعلم .

ثم ربّت على كتفها ، وهو يقول فى ثقة أثلجت صدرها :

ـــ لم ينج أحد من أنياب (نابليون) من قبل يا عزيزتى (برجيت) .. هيّا بنا ، ولا تنسَىْ إرسال باقة زهور لـ (نابليون) ، فمعدته الآن هى قبر شيطانك المصرى ورفيقته .

وردّد المكان صوت ضحكته الساخرة ، وهم يغادرون مقرّه معًا ..

مقرّ (ملائكة الجحيم) ..

* * *



٨ — الأنيـاب القاتلة ..

تقول مراجع (الفسيولوجيا)(*) : إنه فى حالة التوتر الشديد ، أو الشعور بالخطر ، تفرز الغدة فوق الكلوية كمية إضافية من مادة (الأدرينالين) ، تزيد من قوة الشخص وكفاءته ، وسرعة استجابته للمؤثّرات الخارجيّة ، وفى حالة (أدهم صبرى) ، كانت صرخة الرُّعب التى انطلقت من حنجرة (منى) ، حينما وثب نحوها (نابليون) ، كافية لأن تطلق غدّة (أدهم) فوق الكلوية ، كل مالديها من (الأدرينالين) ، الذى تدفّق فى شرايين (أدهم) فى قوّة ، فأطلقت صرخة قتالية ارتجّت لها جدران الحجرة ، ووثب من مكانه وثبة تحسده عليها الغزلان ، ليهبط فوق ظهر (نابليون) ، الذى زأر فى قوّة ، احتجاجًا على محاولة (أدهم) لحرمانه من فريسته ، وأخذ يقافز ثائرًا ، هائجًا ، غاضبًا ، محاولًا إلقاء خصمه من فوق ظهره ، فى حين تشبّث (أدهم) بعقرفته بأصابع قوية ككلّابة من فولاذ ، وانكمشت (منى)

(*) الفسيولوجيا = علم وظائف الأعضاء .

فى ركن الحجرة ، أسفل الكاميرا التليفزيونية ، تراقب ما يحدث بعينينْ دامعتين ، مذعورتين ..

وأخيرًا دفع ملك الأدغال رجل المستحيل ، وألقاه من فوق ظهره ، واستدار إليه بعينين يطل منهما الموت ، وهو يكشّر عن أنيابه ، ويزأر فى وحشيّة مخيفة ..

وانقضّ (نابليون) مرّة أخرى على فريسته ، وقفز (أدهم) جانبًا ، بكل ما يملك من قوة وسرعة ، وشعر بمخالب (نابليون) تمزّق سترته ، ورأى الأنياب القاتلة تحاول اقتناص عنقه ، فغاص إلى أسفل ، ومال يسارًا ، وهبط (نابليون) على قوائمه خلفه ، واستدار يواجهه مرّة أخرى ، وقد زاده إفلات (أدهم) وحشيةً وثورة ..

وقفز (أدهم) هذه المرّة ليلتقط الحبل ، الذى كان يقيّد معصمى (منى) ، وحينما وثب (نابليون) وثبته ، وثب هو بدوْره ، حتى بديا كليثين متصارعين ، قبل أن يحتل هو متن الأسد ، ويحيط عنقه بالحبل الغليظ ، وهو يجذبه إليه بعضلات فولاذية جبّارة ..

وجحظت عينا (نابليون) ، وهو يشعر بالحبل الغليظ يعتصر عنقه ، ويحبس أنفاسه ..

وقاوم (نابليون) .. وقاوم .. وقاوم ..

قاوم بكل ما يملك من وحشيَّة ، وغضب ، وقوَّة ، وثورة ..

ثم بدأت مقاومته تضعف ، وتنهار ، وتحوَّل زئيره المخيف إلى عواء أشبه بكلب يحتضر ..

وأخيرًا خمدت أنفاس (نابليون) ..

خرَّ الأسد الإفريقى العملاق جثة هامدة ، وأعلن القَدَر هذه المرَّة أيضًا ، انتصار (أدهم صبرى) ..

انتصار رجل المستحيل ..

ونهض (أدهم) فى إرهاق ، وألقى جسده المنهك إلى جوار (منى) ، وهو يلهث من فرط الإجهاد والانفعال ، ومدَّت هى أناملها ، تتحسَّس وجهه فى حنان ، وهى تغمغم :

ـ استرح يا (أدهم) .. استرح .. لقد كنت عظيمًا .

أسند رأسه إلى الحائط فى تهالك ، وابتسم وهو يغمغم :

ـ ما كنت لأسمح له بمس شعرة واحدة من رأسك ياعزيزتى .

همست فى إشفاق ، وهى تعيد خصلة نافرة من شعره الفاحم إلى رأسه فى حنان :



ثم بدأت مقاومته تضعف ، وتنهار ، وتحوَّل زئيره المخيف إلى عواء أشبه بكلب يحتضر ..

— أعلم ذلك يا (أدهم) .. أعلم ذلك يا حـ ..

كادت تنطق بكلمة (حبيبى) .. إلا أن الخجل أعاق حروف الكلمة فى حلقها ، فتضرّج وجهها بحمرة الخجل ، وخيّل إليها أنه قد فهم ما كادت تنطق به ، فقد التفت إليها ، وابتسم ابتسامة عذبة ، وهو يربّت على كفها فى حنان ، إلّا أنه توقّف فجأة ، وعقد حاجبيه ، وهو يهتف :

— يا إلهى !!.. ولكن كيف ..؟

وقفز فجأة من جوارها ، وأمسك بذيل (نابليون) ، وأخذ يجذبه فى قوّة ، حتى جاء به إلى الركن الذى يجلسان فيه ، فهتفت به (منى) فى دهشة :

— لماذا فعلت هذا ؟

أشار إلى الكاميرا التليفزيونية فوقها ، وهو يقول :

— يلوح لى أن أحدًا لم يشاهد هذه المعركة يا عزيزتى ، فلو أن (مارسيل) ، ملك الأوغاد هذا شاهد مصرع أسده المفضّل ، لثارت ثائرته ، وأمر رجاله باقتحام الحجرة ، وإطلاق الرصاص علينا .

هتفت فى اهتمام :

— وبم يفيدنا هذا ؟

هزّ كتفيه ، وهو يقول :

— سيثير غضبهم بالطبع أن يجدوا المكان خاليًا ، حينما يتطلّعون إلى شاشتهم ، ثم لا ريب أنهم يعيدون الأسد إلى قفصه ، بعد انتهائه من وليمته ، وهذا يضطرهم لفتح الباب الفولاذى .. أليس كذلك ؟

تألّقت عيناها ، وهى تقول فى انفعال :

— وعندئذ نهاجمهم ..

أومأ برأسه إيجابًا ، ثم استرخى فى مجلسه ، وهو يقول :

— نعم يا عزيزتى .. أما الآن فليس أمامنا سوى الجلوس والانتظار .

ومرّ الوقت بطيئًا ..

* * *

مرّت ساعة بطيئة ، ثقيلة ، و (أدهم) و (منى) يجلسان فى صمت وسكون ، أمام جثة (نابليون) ، قبل أن يتحرّك الباب الفولاذىّ ويتناهى إلى مسامعهما صوت ساخر ، يقول :

— هلمّ يا صديقىّ .. لن تلقى مقاومة من (نابليون) ، بعد أن امتلأت معدته باللحم الطازج .

تحرّك (أدهم) فى سرعة البرق ، ووصل إلى الباب الفولاذى ، فى نفس اللحظة التى خطا فيها داخل الحجرة رجلان ، أحدهما يمسك مدفعًا رشاشًا ، والآخر يحمل شوكة طويلة ، ربّما كان ينوى استخدامها لدفع (نابليون) إلى قفصه ..

وارتسم مزيج من الذهول والذعر على وجهي الرّجلَيْن ، حينما فوجئا بـ(أدهم) على قيد خطوة واحدة منهما ، وسمعاه يقول فى هدوء ساخر :

ــ مساء الخير أيها السادة .

حاول الرجل الأول أن يرفع مدفعه الرشّاش ، ولكن قدم (أدهم) كانت أسرع منه ، فركلت المدفع الرشّاش فى قوّة ، ثم لحقتها قبضته ، فهوت على فك الرجل كالصاعقة ، وأسقطته مهشّم الفك ، فاقد الوعى ..

وقفز الثانى يحاول طعن (أدهم) بالشوكة الحادّة ، ولكن (أدهم) قفز جانبًا ، متفاديًا الطعنة ، ثم هَوَى على مِعْصَم الرجل بيسراه ، وأجبره على إلقاء سلاحه ، ثم حطّم أنفه بلكمة ساحقة ، هَوَى بعدها إلى جوار رفيقه ، وأسرع (أدهم) يلتقط المدفع الرشّاش ، وهو يَهْتِف :

ــ هَلُمّ يا (منى) .. لقد حان وقت الفِرار من هذا السِّجْن اللعين .

* * *

من العجيب أن الطريق كان خاليًا ، حتى أنه لم يعترض طريقهما سوى رجل واحد ، أزاحه (أدهم) بلكمة واحدة ، أفقدته الكثير من أسنانه ، وحصلَت (منى) على مِدْفعه الرّشّاش ، ثم تبعت (أدهم) إلى جراج الفيلّا ، التى يتخذها (مارسيل) وَكْرًا له ، حيث عثرا على سيّارة من نوع نصف النقل ، أسرعا يستقلّانها ، وانطلق بها (أدهم) خارج المكان ، وهو يقول فى سُخْرِيَة :

ــ يا إلهى !!.. إنها أيسر عملية فرار قمت بها فى حياتى كلها ... يبدو أن صديقنا (مارسيل) شديد الثقة بنفسه ، حتى أنه لا يتصوّر أن يجرؤ أحد على اقتحام وكره .

غمغمت (منى) :

ــ أو أنه تركنا نفرّ عامدًا .

أطلق (أدهم) ضحكة قصيرة ، قبل أن يقول :

ــ مستحيل يا عزيزتى !!.. إنه لم يكن يتوقّع خروجنا على قيد الحياة ، من حجرة (نابليون) .

ثم عقد حاجبيه ، وهو يردف في جدّيّة :

— وسيكون لنا لقاء ثانٍ معه ، بعد أن ننتهي من الشقراوات الثلاث .

سألته في اهتمام :

— هل تنوي اقتحام منزل (سونيا) مرّةً أخرى ؟

ابتسم وهو يقول :

— لا يا عزيزتي .. سنترك لصديقتنا (سونيا) ليلة واحدة ، تنعم فيها بنوم هادئ وهي تتصوّر أنها قد انتصرت أخيرًا .

سألته في حيْرة :

— إلى أين سنذهب إذن ؟

ارتسمت على شفتيه ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

— خمّني .

وبينما كانت سيارتهما تعبر الطريق من ڤيلّا (مارسيل بيكر) إلى هدفهم ، التقطت عينا رجل متين البنيان ، مربّع الوجه ، بارد الملامح ، أشقر الشعر ، قصيره ، وجه (أدهم) ، فاتسعت عيناه الزرقاوان ، على الرغم من ضيقهما ، وهو يهتف بلغة شرقية :

— يا للشيطان !!.. إنه هو !.. يا للمصادفة !!

ثم أشار إلى سائق سيّارته ، وهتف به في انفعال :

— اتبع هذه السيّارة نصف النقل .. لقد جئنا نسعى خلف هدف ، فقادنا القدر إلى هدف آخر .

وأشعل سيجارة قصيرة ، ذات رائحة نفّاذة ، وهو يردف مبتسمًا في برود :

— لقد جاءت لحظة تصفية الحساب ، دونَ موْعِد سابق .. يبدو أنك لن تشاهد شروق شمس (باريس) غدًا يا عزيزي (أدهم صبري) .

ومن عينيه الضيقتين الزرقاوين ، أطلّ بريق مُخيف .. بريق موت وحشيّ ، وأصقاع جليد قاتل ..

* * *



٩ — دمـاء شـقراء ..

أعلنت أضواء الشفق الحالمة مولد فجر جديد ، مع إقلاع الطائرة التى تقلّ (كلوديا موريس) ، من مطار (أورلى) بـ(باريس) ، فى طريقها إلى (القاهرة) ، وتنهّدت (سونيا جراهام) فى ارتياح ، وهى تتابع الطائرة ببصرها ، ثم غمغمت :

— ها هو ذا المولد الحقيقىّ لـ(ملائكة السّلام) ..

سألتها (چوزفين) فى هدوء بارد كعادتها :

— هل تظنين أنها ستنجح ؟

ابتسمت (سونيا) ، وهى تقول فى ثقة :

— إنها لن تبذل جهدًا للنجاح ، مثلما فعلت أنت فى (موسكو) ، فالعملية ستسير وفق مخطّطنا ياعزيزتى ، وليس على تلك الغبيّة سوى أن تتألق ، وتبدو فى صورة مناسبة ، كصاحبة أحد أرقى بيوت الأزياء الفرنسية ، وتبعثر الأموال على نحو يُسيل اللّعاب ، وسيتولّى رجالنا الباقى .

ابتسمت (چوزفين) بدوْرها ابتسامة شاحبة ، كادت تتوارى خلف برودها الجليدىّ ، وهى تقول :

— وهل تظنين أن (الموساد) سيرضى بعودتنا إليه ، إذا ما قدّمنا التصميمات المصريّة فى مقابل ذلك ؟

أطلقت (سونيا) ضحكة ساخرة خافتة ، وهى تقول :

— كونى متفائلة ياعزيزتى .. كل شىء يسير على ما يرام حتى الآن ، فلقد نجحت خطتنا حتى الآن ، فاجتذبت أنا البنك المسمى (كلوديا موريس) ، وأوقعت أنت (مارسيل بيكر) ، ملك العصابات ، فى حبائلك ، ونجحنا فى التخلّص من (أدهم صبرى) وزميلته ، قبل أن يبلّغ دولته بأمرنا .. إن هذا النجاح المتتالى يجعلنى أميل للتفاؤل .

صمتت (چوزفين) لحظة ، قبل أن تتمتم فى بُرود :

— نعم .. أعتقد ذلك .

وتثاءبت ، قبل أن تُردف :

— أعتقد أننى أحتاج إلى قدر من النوم ، فاليوم كان حافلًا ، مليئًا بالإثارة ، ولا بدّ لى من الذّهاب إلى العمل فى التاسعة .

أومأت (سونيا) برأسها موافقة ، وهى تقول :

— من حسن الحظ أننى لست مضطرة للاستيقاظ مبكّرًا .

ثم التفتت إليها ، تسألها فى اهتمام :

ـ هل ينتظرك (مارسيل) ؟

حرّكت (جوزفين) رأسها يمْنةً ويسْرةً ، وهى تقول فى بطء :

ـ كلّا .. لقد عاد إلى فيلّته ، ولا ريب أنه يغطّ الآن فى نوم عميق .

واتجهت كل منهما إلى سيّارتها ، وقد أسكرتهما نشوة النصر ..

* * *

كانت (جوزفين) تشعر بإرهاق شديد ، وهى تعبر باب منزلها ، وكانت تحلم بنوم هادئ عميق ، حتى أضاءت الرّدهة ، فتلاشى منها الإرهاق بغتةً ، وطارت أحلام النوم من عينيها ، اللتين اتسعتا فى ذهول ورُعب ، وهى تحدّق فى وجه (أدهم صبرى) ، الذى جلس هادئًا ، على الأريكة المقابلة للباب ، وابتسامته تملأ وجهه ، ومدفعه الرشّاش مصوّب إليها ..

وانتفض جسد (جوزفين) فى ذُعر ، وسقط ذلك القناع الجليدئ عن وجهها ، وهى تهتف :

ـ أنت ؟!.. كيف ؟



وهى تحدّق فى وجه (أدهم صبرى) ، الذى جلس هادئًا ، على الأريكة المقابلة للباب ، وابتسامته تملأ وجهه ..

أجابها (أدهم) فى بُرود :

ــ كيف حالك ياعزيزتى (جوزفين) ؟

ظلّت تحدّق فى وجهه لحظة ، قبل أن تهتف فى انفعال :

ــ كيف نجوت من (نابليون) ؟

هزّ كتفيه فى لا مبالاة ، وهو يقول فى سخرية :

ــ لقد كاد يفترسنا فى وحشيّة ، ولكننى ذكّرته بما أصابه فى (ووترلو) ، فانزوى خجلًا ، وأخذ يبكى قهرًا ، حتى لقى مصرعه .

هتفت فى ذهول :

ــ ولكن هذا مستحيل !!

برزت (منى) فجأة ، من خلف إطار معدنى ضخم ، يقسّم الرّدهة قسمَيْن ، وهى تقول فى سخرية :

ــ لا تنطقى هذه الكلمة أمام زميل ياعزيزتى (جوزفين) ، فكلما سمعها تحوّل إلى كتلة من الإصرار والعِناد والقوّة ، ولا أظنك ترغبين فى مقابلته على هذا النحو .

مرّت لحظة من الصمت ، نجحت (جوزفين) خلالها فى تقبّل الأمر ، وامتصاص الصدمة ، قبل أن تقول فى جِدّة :

ــ ماذا تريدان ؟

أجابها (أدهم) فى هدوء :

ــ معلومة صغيرة ياعزيزتى الشقراء الجميلة .. متى وأين تُعِدُّونَ لعمليتكم التالية ؟

ظلّ وجه (جوزفين) لحظة باردًا جامدًا ، ثم أطلقت ضحكة ساخرة ، وهى تقول :

ــ إذن فأنتما لا تعلمان ، وتريدان من (جوزفين) المسكينة أن تخبركما .

واكتست ملامحها فجأة بصرامة هائلة ، وهى تردف فى شراسة :

ــ محال .. إنكما لا تعرفان مَنْ هِيَ (جوزفين مونييه) .

اقتربت منها (منى) فى هدوء ، وألصقت فوّهة مسدّسها فى جبهتها ، وهى تقول :

ــ يبدو أنك أنت يا (جوزفين مونييه) ، التى لا تعلمين ماذا يمكننا أن نفعل بك ، إزاء صمتك هذا .

أطلقت (جوزفين) ضحكة ساخرة ، واستندت إلى حافةِ مائدة صغيرة أنيقة ، وعقدت ساعديها أمام صدرها ، وهى تقول :

ــ هل تظنين أن مسدّسك سيخيفنى أيتها الصغيرة ؟

قالت (منى) فى حزم ، وهى تجذب إبرة مسدسها :

ــ بل ستخترق رصاصة رأسك أيتها الكبيرة .

التقت عيونهما فى تحدٍ صارخ ، ثم لاح فى عينى (جوزفين) فجأة بريق عجيب ، جعل (منى) تلتفت إلى حيث يجلس (أدهم) ، ووجدت نفسها تهتف فى ذُعر :

ــ احترسْ يا (أدهم) .

وفى نفس اللحظة انحنت (جوزفين) ، وأطاحت بمسدس (منى) بلكمة مُحكَمة ، فى حين شعر (أدهم) بذراعين كالفولاذ تطوّقانه من الخلف ، وتعتصرانه حتى كادت أنفاسه تتوقّف ...

* * *

كان الموقف كله لا يحتمل الانتظار ، ولا حتى الشعور بالمفاجأة ؛ لذا فقد استوعب عقل (أدهم) موقفه فى لحظة ، وانتقل للعمل فى اللحظة التالية ..

ودفع (أدهم) قدميه فى الأرض ، ودفع جسده إلى الخلف ، وترك الأريكة التى يجلس عليها تنقلب على ظهرها ، ليسقط هو وهى فوق خصمه ، الذى أطلق سبابًا فرنسيًا ، ولكنه لم يكُفّ عن اعتصار وسط (أدهم) بذراعيه الفولاذيتين ..

وشعر (أدهم) بضلوعه تئن ، تحت وطأة ذلك الضغط الهائل ، وبأنفاسه تتحشرج وتختنق ، وهو عاجز عن تحريك ذراعيه ، اللذين يضمهما الرجل مع صدره فى قوّة ، ولكنه استدعى كل مُرونته وخفته ، ومال بنصفه الأسفل إلى أعلى ، وانثنى جسده كورقة مَطْوِيّة ، لتهوى قدماه على رأس خصمه ، وينزلق جسده من بين ذراعيه ..

وأطلق الرجل مرّة أخرى سبابًا فرنسيًا سوقيًا ، حينما انزلق جسد (أدهم) من بين ذراعيه ، ولكنه نجح فى تطويق عنق (أدهم) بساعده المفتول ، وضغطه فى قوّة ليحطّمه ، ولكنه نسِىَ أن ذراعى (أدهم) قد تحرّرتا ..

وبكل ما يملك من قوة وبأس ، هوى (أدهم) بمرفقه على صدر الرجل ، وسمع صوت إحدى أضلاعه يتحطّم ، فى حين تأوّه الرجل فى ألم ، وأرخى ساعده لحظة ، كانت كافية ليتخلص منه (أدهم) ، ويقفز واقفًا على قدميه ، ويتطلّع إلى خصمه لأوّل مرّة ..

كان يتوقّع خلقة بشعة صارمة ، إلا أن خصمه كان شابًا وسيمًا واضح القوّة والعُنفُوَان ، أزرق العينين ، مجعّد الشعر ، ولقد كان من الواضح أنه شجاع مقدام ، فقد دفع الأريكة بعيدًا ،

وبهض يواجه (أدهم) فى شراسة ، على الرغم من ضلعه المكسورة ..

وانقضّ الشابّ على (أدهم) ، وكال له لكمة كافية لسحق عظامه ، ولكن (أدهم) تفاداها فى براعة ، وانثنى فى مرونة ، وغاص بجسده إلى أسفل ، ومال جانبًا ، ثم أطلق لقبضتيه الفولاذيتين العنان ..

وفوجئ الفرنسيّ الشابّ بقنبلة تنفجر فى معدته ، وصاعقة تهوى على فكّه ، وشعر بمذاق الدم فى فمه ، ثم فقد حاسّة الشمّ حينما تحطّم أنفه ، وخيّل إليه أن فريقًا من أبطال العالم فى الملاكمة يهوى على جانبىْ وجهه بلكمات متتالية مؤلمة قويّة ، حتى لم يسعه إلّا أن يسقط أرضًا ، ويفقد وعيه ، حتى يشعر ببعض الراحة والهدوء ..

وحينما اعتدل (أدهم) ليواجه (جوزفين) ، وجدها تصرخ فى وجهه :

— حذارِ أن تبدُرَ منك حركة واحدة ، وإلّا حطّمت رأسك بمسدّسى ..

كان من الواضح أنها قد انتصرت على (منى) ، التى سقطت فاقدة الوعى ، وانتزعت منها مسدّسها ، فتطلّع (أدهم) إلى عينيها فى صرامة ، وهو يقول :

— ماذا فعلت بها ؟

صاحت فى حنق :

— أنا أيضًا أجيد وسائل الدفاع عن النفس أيها البطل .. لقد تلقّيت تدريباتى فى جهاز مخابراتٍ قوىّ ، ثم إن هذه الحقيرة كانت تهدّدنى بمسدّسى ، الذى سرقته من حجرتى .

ضاقت عينا (أدهم) ، وهو يقول :

— إذن فأنت من (الموساد) .. أنت و (سونيا) من (الموساد) .. هل (كلوديا) زميلتكما أيضًا ؟

صاحت (جوزفين) فى غضب :

— انتهى وقت الأسئلة يامسيو (أدهم) .. لن تنال منّى إلّا رصاصةً واحدة تزيّن وجهك الوسيم .

أجابها فى سخرية :

— هل تظنّين أن التخلّص منّى بمثل هذه السهولة ؟

هتفت فى عصبية :

— حاول أن تفرّ من رصاصتى أيها الشّيطان .. لقد حصلت على جائزة كبرى ، فى التصويب على الأجسام المتحرّكة .. هيّا .. حاول .

ثم جذبت إبرة مسدّسها ، وهى تهتف فى شراسة :

— الوداع يامسيو (أدهم) .. لقد فشلت مهمتك هذه المرّة ..

وفجأة دوّى صوت رصاصة مكتومة ، كما لو أنها قد انطلقت عبر كاتم للصوت ، وتصلّب جسد (جوزفين) ، وجحظت عيناها ، واندفعت الدماء من ثقب فى جبهتها ، تمتزج بشعرها الأشقر الجميل ، وغمغمت بكلمة واحدة :

— مستحيل !!

ثم هوت هامدة ، وقد تحوّل شعرها الأشقر إلى اللون الأحمر ، من كثرة ما تمتزج به دماؤها ، وأدار (أدهم) عينيه فى دهشة إلى مصدر الرصاصة ، ثم لم تلبث دهشته أن تحوّلت إلى ذهول جارف ، وهو يهتف :

— يا إلٰهى !!.. أنت ؟!

أجابه صوت شرق بارد ، خرج من بين شفتى رجل أزرق العينين ، ضيّقهما :

— نعم .. إنه أنا أيها الرفيق .. لقد أذهلتك رؤيتى على قيد الحياة .. أليس كذلك ؟

* * *

١٠ — عودة الكوبرا ..

حدّق (مارسيل بيكر) فى وجه أحد رجاله ، وهو يهتف فى مزيج من الغضب والذهول :

— هرب ؟!.. كيف نجح ذلك الشيطان المصرى فى الفرار ؟.. كيف هرب مع زميله من هنا ؟.. كيف أفلت من أنياب (نابليون) ؟

تردّد الرجل ، قبل أن يخفض عينيه ، مغمغمًا فى اضطراب :

— لقد ... لقد قتل (نابليون) .

بلغت عينا (مارسيل) ذِرْوَة اتساعهما ، وهو يصرخ :

— قتله ؟!!

ثم انطلق يعدو نحو حجرة (نابليون) ، وأطلّ الألم والحزن فى عينيه ، وهو يتطلّع إلى الأسد الصريع ، وانحنى يتحسّس فروته فى إشفاق ومرارة ، وهو يغمغم فى غضب :

— يا لـ (نابليون) المسكين !!.. كيف جرؤ هذا الشيطان على قتلك ؟.. ياللشيطان !!.. لقد خنقك بوحشية ذلك الوغد !!



وانحنى يتحسس فروته فى إشفاق ومرارة ، وهو يغمغم فى غضب :

ــ يا لـ (نابليون) المسكين !! ..

واكتست ملامحه بالكراهية والصرامة ، وهو يهتف مستطردًا :

ــ ولكنه سيدفع الثمن .. سيدفع الثمن غاليًا .

ونهض واقفًا ، وهو يصرخ فى وجه أحد رجاله :

ــ أريد هذا الرجل يا (مارتان) .. أريده مهما كان الثمن .. وزِّع نشرة بأوصافه على الجميع ، مرهم بمراقبة المطارات ، ومخارج (باريس) ، ومترو الأنفاق .. أخبرهم أننى سأدفع مليون فرنك ، لمن يأتى به حيًّا .. أريد هذا الرجل .

ثم اندفع خارجًا ، ولحق به (مارتان) ، وهو يهتف فى توتُّر :

ــ إلى أين أيها الزعيم ؟.. أين نجدك حينما نظفر به ؟

لوَّح (مارسيل) بذراعه ، وهو يهتف فى عصبية :

ــ سأذهب إلى (جوزفين) .. إننى أحتاج إلى بعض الرَّاحة ، والابتعاد عن رائحة الموت الكريهة .

ولكنه كان واهمًا ..

* * *

أطلّت الدهشة قويّة عارمة من عينى (أدهم) ، وهو يتطلّع إلى الرجل الذى يقف أمامه ، ممسكًا بمسدس ضخم مزوّد بكاتم للصّوت ، وحوله ستة رجال يصوّبون مدافعهم الرّشاشة إلى رأس (أدهم) ، الذى غمغم فى دهشة :

— ولكنك لقيت حتفك فى آخر صراع لنا .

ابتسم الرجل وقال :

— ليس من السهل أن تتخلّص من (سيرجى كوربون) أيها المصرى ، إنهم لم يلقّبونى بـ (كوبرا) عبثًا .. لقد أطلقت النار على سيّارتى ، فى صراعنا السابق ، ولقد رأيتها بالطبع تحترق ، وتشتعل فيها النيران(*) ، ولكننى نجحت فى القفز منها فى اللحظة الأخيرة ، ومن الجهة العكسيّة ، بحيث لم يمكنك رؤيتى .

واكتسى صوته بنبرة قاسية ، حاقدة ، وهو يستطرد :

— لم يمض ذلك بلا خسائر بالطبع .. لقد احترق جانب وجهى ، وثلاثة من أصابعى .

وابتسم حينما رأى (أدهم) يتطلّع إلى وجهه ، وأردف فى برود :

— إن ذلك لم يعد يترك أثرًا بالطبع ، فجراحة التجميل متقدّمة للغاية فى بلادى ، وأطباؤنا يمكنهم استبدال الجلد

(*) راجع قصة (سم الكوبرا) .. المغامرة رقم (٥١) .

المحترق فى براعة ومهارة ، خاصّة حينما يتعلّق الأمر بضابط مخابرات لا يمكن تعويضه و ..

قاطعه (أدهم) فى صوت بارد ، ولهجة حازمة :

— ما الذى أتى بك إلى هنا يا (سيرجى) ؟

أجابه (سيرجى) فى برود :

— الرفيق (سيرجى) أيها الرفيق (أدهم) ، فالمساواة فى بلادى تجعلنا نخاطب الجميع بكلمة (الرفيق) .

عاد (أدهم) يسأله فى برود :

— ماذا جاء بك يا (سيرجى) ؟

ابتسم (سيرجى) ، وهو يقول :

— بل ما الذى جاء بك أنت أيها الرفيق (أدهم) ؟.. لقد أرسلتنى (موسكو) لتعقّب هذه الشقراء اللعينة ، التى نجحت فى إغواء أحد رجالنا ، وحصلت منه على تصميمات سلاحنا الجديد ، ولقد أسعدنى الحظ بمنحها المصير الذى تستحقه ، والإيقاع بك فى الوقت ذاته .

تطلّع (أدهم) إلى عينيه لحظة فى تحدّ ، قبل أن يقول :

— وماذا تريد منّى يا (سيرجى كوربون) ؟.. لا يوجد عداء بين دولتينا ، فى الوقت الحالى ؟

رفع (سيرجى) حاجبيه ، وهو يقول :

— ولكنّ هناك حساب بيننا ، لم تتمّ تصفيته بعدُ أيها الرّفيق .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :
ـــ وهل يشتمل ذلك على إطلاق النار على (چوزفين) ؟
أجابه (سيرچى) فى صرامة :
ـــ لقد كانت تستحق ذلك .
هتف (أدهم) فجأة ، وبلغة روسية واضحة :
ـــ أنت أغبى رجل مخابرات قابلته فى حياتى كلها يا (سيرچى كوربوف) .
ظهر الغضب على وجه (سيرچى) ، وانتقل إلى عيون رجاله ، وهو يهتف فى صرامة :
ـــ ماذا تقول أيها المصرى؟
أجابه (أدهم) فى جِدَّة :
ـــ أقول إنك أغبى رجل مخابرات فى العالم كله .
ثم أشار إلى جثة (چوزفين) ، مستطردًا :
ـــ وهذا هو الدليل .
صاح (سيرچى) فى عصبية :
ـــ الدليل على ماذا ؟.. لقد خدعت تلك اللعينة رجالنا ، وسرقت أسرارنا ، وكانت تستحق الموت .
انتقل غضبه إلى (أدهم) ، وهو يقول :

ـــ وماذا عن الأسرار الأخرى ، التى حصلت عليها منكم ؟
اتسعت عينا (سيرچى) فى ذعر ، وهو يغمغم :
ـــ أسرار أخرى ؟!.. هَلْ ..؟
قاطعه (أدهم) فى جِدَّة :
ـــ مَنْ أدراك أنها لم تحصل على أسرار أخرى ، بخلاف ما نشرته (لوموند) ؟..
كان ينبغى أن تستطقها أوَّلًا يا (سيرچى) ، بدلًا من أن ترديها قتيلة هكذا .
ظهر الارتياع على وجه (سيرچى) لحظة ، وكأنه قد تنبَّه إلى خطئه ، ثم لم تلبث ملامحه أن عادت لبرودها ، وهو يبتسم ابتسامة ماكرة ، ويقول :
ـــ أنت على حق أيها الرفيق (أدهم) .. كان ينبغى أن أستطقها أوَّلًا ، كما فعلت أنت .
هتف (أدهم) فى جِدَّة :
ـــ إنك لم تمنحنى الفرصة أيها الغبىّ .
رفع (سيرچى) حاجبيه فى دهشة ساخرة ، وهو يقول :
ـــ هكذا ؟!.. لا عليك أيها الرفيق ، سنعوّض ذلك بمحاولة استطاقك وزميلتك .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ــ إننا نعمل فى جانب واحد هذه المرّة يا (سيرجى) .

مط (سيرجى) شفتيه ، وهو يقول فى برود :

ــ مفهوم أيها الرفيق .. مفهوم .

ثم أشار إلى رجاله ، مستطردًا :

ــ أحضروه إلى المخزن يارجال .

تقدّم الرجال الستة نحو (أدهم) ، الذى استعاد ذهنه فى لحظة تفاصيل معركته السابقة مع (سيرجى كوربوف) ، الشهير فى أوساط المخابرات بالـ(كوبرا) ..

تذكّر كيف أسره (سيرجى) ..

تذكّر قسوته وشراسته ..

وتذكّر كيف حوّله إلى مدمن للمخدّرات ..

كانت تجربة رهيبة ..

تجربة يرفض (أدهم) تكرارها ..

يرفض ذلك تمامًا ..

وفجأة بدأ (أدهم) قتاله ..

بدأه ضد ستة رجال ، يحملون المدافع الرشاشة ، ويرأسهم (سيرجى كوربوف) ..

الكوبرا ..

* * *

١١ ــ فى أعماق السين ..

لم يكن الأمر عاديًا أو ممكنًا ، حتى بالنسبة لـ(أدهم صبرى) ، الذى يحمل لقب (رجل المستحيل) ..

كانوا ستة رجال ، أقلّهم حجمًا يبلغ ضعف حجم (أدهم) على الأقل ..

وكان كل منهم يحمل مدفعًا رشاشًا ..

وعلى الرغم من ذلك أطاح (أدهم) بمدفع أولهم بركلة قويّة ، وحطّم أنف الثانى بلكمة ساحقة ، وأسال الدماء من أنف الثالث بقبلة تشبه اللكمة ، أو هكذا بدت للرجل ..

ولكن الأمر كان حتمًا مستحيلًا ..

قبل أن يلتفت (أدهم) إلى الرجال الستة الآخرين ، شعر بضربة معدنيّة قويّة على مؤخرة رأسه ، وحينما حاول أن يقاوم ذلك الدُّوار ، الذى شمل جسمه حتى النخاع ، هوت على فكّه لكمةٌ قويّة ، وهوت على مؤخرة عنقه أخرى ، ثم لم يعد يشعر بشىء ..

سقط رجل المستحيل ...

سقط تحت أقدام (الكوبرا) ، الذى أشعل فى هدوء

واحدة من سجائره ، ذات الرائحة النفّاذة القويّة ، ونقل بصره فى برود بين جسدى (أدهم) ، و (منى) ، قبل أن يكرّر أمره ، قائلا :

ـ احملوهما إلى المخزن .

ثم استدار ، وغادر المنزل فى برود ..

* * *

ألقى (مارسيل بيكر) جسده فوق أقرب مقعد إلى باب منزل (جوزفين) ، وامتلأ قلبه بحزن هائل ، وغضب هادر ، وهو يتطلّع إلى جثتها فى ذهول ، ومضت فترة طويلة من الوقت ، قبل أن توقظه تأوّهات رجل من ذهوله ، فرفع عينيه إلى الفرنسىّ ، الذى أفقده (أدهم) وعيَه فى قتالهما ، وقال فى غضب :

ـ ستدفع الثمن يا (شيفاليه) .

حدّق (شيفاليه) فى جثة (جوزفين) فى ذهول ، ثم رفع عينيه الزرقاوين ، اللتين امتلأتا بالفزع ، إلى (مارسيل) ، وهو يغمغم فى رُعب :

ـ إننى لم أفعل ذلك أيها الزعيم .. أقسم لك .

صرخ (مارسيل) فى ثورة :

ـ لقد كنت مسئولاً عن حمايتها .

صاح (شيفاليه) ذُعْر :

ـ ولقد فعلت أيها الزعيم ... أقسم لك .

واضطرب صوته ، وهو يلوّح بذراعيه ، مستطردًا :

ـ لقد كنت أرقد فى فراشى ، أنتظر عودتها من المطار ، حينما دقّ فى حجرتى جرس الإنذار السرّىّ ، الذى تطلقه هى ، باستنادها إلى حافّة المائدة ، حينما يواجهها خطر ما ، فقفزت من فراشى ، وهُرِعت إلى هنا ، ووجدت ذلك الرجل ورفيقته و ..

قاطعه (مارسيل) فى عصبية :

ـ أى رجل ؟

عاد (شيفاليه) يلوّح بذراعيه ، وهو يقول :

ـ ذلك المصرىّ ، الذى أسرناه أمس ... إنه شيطان أيها الزعيم !! شيطان مَريد !!.. لقد كبّلت ذراعيه ، وحاولت قتله ، إلا أنه أفلت بمرونة مُذهِلة .

أغلق (مارسيل) عينيه فى ألم وغضب ، وألقى رأسه على ظهر مقعده ، فى حين استطرد (شيفاليه) فى توتّر :

— إنه يطلق اللكمات بقوة عشرة مقاتلين ... إنه شيطان !!

وتحولت لهجته إلى التوسل والضراعة ، وهو يردف :

— لقد أديت واجبي أيها الزعيم ... أقسم لك .

ظل (مارسيل) صامتًا لحظات ، قبل أن يقول في غضب :

— أغرب عن وجهي .

حاول (شيفاليه) أن يتوسل ، قائلًا :

— أقسم لك أيها الز ..

ولكن (مارسيل) صاح في ثورة :

— أغرب عن وجهي .

أسرع (شيفاليه) يعدو مبتعدًا ، كأنما تطارده شياطين الجحيم كلها ، في حين عاد (مارسيل) يتطلع إلى جثة (جوزفين) ، وهو يغمغم في حزن وألم .

— يا حبيبتي المسكينة !! وداعًا يا (جوزفين) الجميلة .. وداعًا يا أرق وأجمل من أنجبتهم (فرنسا) !!

وتسلل الغضب إلى صوته ، وهو يستطرد :

— إذن فقد قتلك ذلك المصري اللعين ... أراق دماءك بلا رحمة .

وتحول صوته إلى كتلة من الكراهية والبغض ، وهو يهتف :

— وسيدفع الثمن ... أقسم بروحك يا (جوزفين) إنه سيدفع الثمن .

ونهض من مقعده بحركة حادة ، والتقط سماعة الهاتف ، وطلب رقمًا خاصًا ، وانتظر حتى جاءه صوت محدثه ، ثم قال في هدوء وصرامة :

— ارفع قيمة المكافأة ، الخاصة بالقبض على ذلك الشيطان المصري ، إلى ثلاثة ملايين فرنك يا (مارتان) ، وألغ شرط إحضاره حيًا ... إنني أريده حيًا أو ميتًا .

وصمت لحظة ، قبل أن يستطرد في صرامة :

— والأفضل ميتًا .

ومد يده ليضع سماعة الهاتف ، إلا أنه أسرع يعيدها إلى أذنه ، وهو يردف :

— أرسل بعض الخبراء إلى منزل (جوزفين) يا (مارتان) ، سيكون عليهم أن يمحوا بعض البصمات والأدلة ، فلست أحب أن يرتبط اسمي بجريمة قتل ، فأنت تعلم حساسية مركزي ..

ثم أغلق السماعة ، وقد اتخذت أفكاره كلها هدفًا واحدًا ..

العثور على (أدهم صبري) .. وقتله ..

* * *

هبطت طائرة (كلوديا موريس) فى مطار القاهرة ، فى الساعات الأولى من الصباح ، وعلى الرغم من أنها لم تكن تحمل سوى حقيبة واحدة ، فقد استغرقت إجراءاتها الجمركية وقتًا طويلًا ، لأن القلق والارتباك ، الواضحين فى ملامحها ، جعلا موظّف الجمارك يرتاب فى أمرها ، فيفتش حقيبتها فى دقّة بالغة ، حتى لقد أصابته الدهشة ، حينما لم يجد بها أية ممنوعات ..

وغادرت (كلوديا) المطار فى منتصف النهار ، واستنشقت هواء القاهرة فى عمق ، ثم لم يلبث اضطرابها ان عاودها ، وهى تنقل بصرها بين رجال شرطة المطار ، الذين يتحرّكون فى كل مكان بثيابهم الرسميّة ، حتى وقع بصرها على أحد رجال (مارسيل) ، الذى اقترب منها ، ورحّب بها فى احترام ، وهو يقول :

— مرحبًا بك فى القاهرة ياسيّدتى .

وحمل حقيبتها إلى سيارة فاخرة تنتظرها ، ولم تكد تدلف إلى مقعدها الخلفى ، حتى سألت الرجل فى قلق :

— هل تمّ إعداد كل شىء ؟

أجابها ، وهو يقود السيّارة فى هدوء :

— نعم ياسيّدتى ... كل شىء على مايرام .

عادت تسأله :

— هل وصل البديل ؟

أجابها فى اقتضاب :

— نعم ياسيّدتى .

ضايقها الاضطراب الواضح فى صوتها ، فتظاهرت بالصرامة ، وهى تقول :

— ومتى ألتقى به ؟

أجابها الرجل فى هدوء :

— أخشى أن هذا لن يحدث أبدًا ياسيّدتى .

هتفت فى مزيج من السخط والاستنكار :

— كيف ؟.. إننى أرأس هذه العملية !

أجابها الرجل فى لهجة مهذّبة :

— إننا نخشى المراقبة ياسيّدتى ، ولا ينبغى أن يراه أحد معك ، وإلّا فهم المصريون اللّعبة .

شعرت بالخنق ؛ لأنها لم تنتبه إلى ذلك ، فأشعلت سيجارتها فى عصبيّة ، وهى تقول :

— ومتى يبدأ تنفيذ الخطة ؟

أجابها الرجل :



حينما أفاقت من غيبوبتها لتجد نفسها مقيّدة اليدين والقدمين ، وملقاة داخل مخزن قديم ، إلى جوار (أدهم) المقيّد بدوره مثلها ..

— فى أثناء عرض الأزياء ياسيّدتى ، فى السادسة من مساء الغد .

نفثت (كلوديا) دُخان سيجارتها فى عصبية ، وهى تشعر بأنها مُقْدِمَة على عملية انتحارية ، لم تُقْدِم على مثلها من قبلُ ، ولكنها قرّرت أن تتماسك ، وتؤدّى العملية بنجاح ، لتثبت للجميع أنها أهل لزعامة المنظمة الجديدة ، التى أطلقوا عليها اسم (ملائكة السّلام) ، والتى أطلق (أدهم) عليها اسم (ملائكة الجحيم) ..

* * *

كانت دهشة (منى) بالغة ، حينما أفاقت من غيبوبتها لتجد نفسها مقيّدة اليديْن والقدمين ، وملقاة داخل مخزن قديم ، إلى جوار (أدهم) ، المقيّد بِدَوْرِه مثلها ، وأمامها يجلس (سيرجى كوربوف) ، الذى كانت تحسب أنه قد لقى مصرعه حرقًا ، وها هوذا يبتسم فى سخرية وشماتة وبرود ، وهو يقول لـ(أدهم) :

— إذن فأنت تصرّ على الإنكار أيها الرفيق (أدهم) .

كانت دهشتها بالغة ؛ لأن آخر ما تذكره هو صراعها مع (جوزفين) ، فى منزل هذه الأخيرة ، التى كانت تحسبها

هاوية ، فوجدت بها محترفة ، تجيد القتال أكثر مما تجيد استخدام أدوات التجميل ..

وجدت نفسها تهتف فجأة :

ــ أين نحن ؟

أجابها (أدهم) فى هدوء :

ــ تماسكى ياعزيزتى ، لا تتركى لهذا الوغد فرصة السّعادة ؛ لأنه أثار دهشتك .

والتفت إليها (سيرجى) ، وهو يقول بالإنجليزية :

ــ كنت أناقش أنا وزميلك الرفيق (أدهم) تلك المعلومات ، التى أخبرتكما بها (جوزفين مونييه) ، قبل أن تلقى مصرعها .

هتفت (منى) فى دهشة :

ــ تلقى مصرعها ؟!.. ولكنها لم تخبرنا بشىء .

غمغم (أدهم) فى سخرية :

ــ هذا ما أحاول إقناع هذا الوغد به منذ فترة .

عقد (سيرجى) حاجبيه فى غضب ، وهو يقول :

ــ لن يفلح خداعكما أيها المصريان ... لقد أخبرتكما (جوزفين) بشىء ما قبل مصرعها ، ولدىّ من الوسائل ما يجبركما على الاعتراف .

تطلّع (أدهم) فى عينيه بسخرية ، وهو يقول :

ــ هل تظن أننى من ذلك النوع من الرجال ، الذين ترهبهم وسائلك ؟

تنهّد (سيرجى) وهو يقول فى لهجة صادقة :

ــ كلّا أيها الرفيق (أدهم) .. كلّا .

ثم ابتسم فى خبث ، وهو يُردِف :

ــ ولكن زميلتك ليست كذلك .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول فى صوت مخيف :

ــ لو مسست شعرة واحدة منها فسأقتلك يا (سيرجى كوربوف) .

ابتسم (سيرجى) فى سخرية ، وهو يقول :

ــ لن تجد ما يكفى من الوقت أيها الرفيق .

ثم أشار إلى تابوت خشبى يجاوره ، وقال :

ــ لقد كنا أعددنا هذه الميتة لـ (جوزفين مونييه) ، ولكن تعاقب الأحداث جعلها تلقى مصرعها بالوسيلة الأكثر سهولة وسرعة ، وسيسعدنى أن تحلّ محلّها أيها الرفيق .

وبإشارة من يده حمل اثنان من رجاله (أدهم) ، ووضعاه داخل التابوت ، ثم رفعا ثقلين منَ الفولاذ فى صعوبة ، ووضعا أحدهما عند قدمَىْ (أدهم) ، والآخر عند رأسه ، فى حين استطرد (سيرجى) فى برود :

— لا ريب أنك قد لاحظت أن هذا المخزن مقام فوق جزء من نهر (السين) أيها الرفيق ، ولدينا هنا فتحة طريفة ، تطلّ على النهر مباشرة ، ولقد استأجرنا هذا المخزن بالذات بسبب هذه الفتحة ، التى تسمح لنا بإلقاء التابوت فى أعماق (السين) ، دون أن يشعر بنا أحد ، وأنت كما ترى مقيّد اليدين والقدمين ، وسنغلق التابوت بمسامير قويّة ، وحينما نلقى به فى أعماق (السين) ، سيجذبه الثقلان إلى العمق ، وستتسرّب إليه المياه حتى يمتلئ ، فى خلال خمس دقائق على الأكثر .. هل لديك فكرة عن الموت غرقًا أيها الرفيق ؟

اتسعت عينا (منى) فى ذعر ، وهى تغمغم :

— يا إلهى !!... (أدهم) ؟!

فى حين قال (أدهم) فى هدوء :

— اذهب إلى الجحيم أيها (الكوبرا) .

ابتسم (سيرجى) فى سخرية ، وهو يقول :

— وستبقى زميلتك معنا أيها الرفيق ، ولست أظنها ستحتمل وسائلنا طويلًا ، وستحُلّ عقدةُ لسانها بسرعة .

حمل رجلا (سيرجى) غطاء التابوت ؛ ليثبتاه فى موقعه ، فى حين قال (أدهم) فى صرامة مخيفة ، جعلت الرجلين يرتجفان ، على الرغم من قوة موقفهما :

— لقد حذّرتك يا (سيرجى) .. لو مسست شعرة واحدة منها فسأقتلك .

ارتسم الرعب والجزع بكل صورهما على وجه (منى) ، فى حين اختلطت ضحكة (سيرجى كوربوف) الساخرة بصوت دقات مطرقتى الرجلين ، وهما يثبّتان غطاء التابوت بالمسامير ، ثم جذبا التابوت إلى تلك الفتحة ، فى جوف المخزن ، واشتركا فى دفعه عبرها ..

وصرخت (منى) فى جزَع ورُعب ، حينما هوَى التابوت ، الذى يحوى جسد (أدهم) إلى أعماق (السين) ، وغاص فى سرعة ، ولم يستطع قلبها الملتاع أن يصدّق أنها النهاية .. نهاية رجل المستحيل ..

انتهى الجزء الأوّل بحمد الله

ويليه الجزء الثانى

(ملك العصابات)

رقم الإيداع ٣٦١٩

المؤلف



د. نبيل فاروق

ملائكة الجحيم

- ما منظمة الجاسوسية الخاصة، التي ظهرت فجأة في عالم المخابرات ؟
- ما سر الشقراوات الثلاث، ورجل العصابات، الذين يقاتلون (أدهم صبري) في (باريس) ؟
- ترى .. أينجح (رجل المستحيل) في هدم هذه المنظمة الجديدة، أم تنتصر (ملائكة الجحيم) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة، لتعرف كيف يعمل (رجل المستحيل).

رجل المستحيل
سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

٦١



الثمن في مصر

وما يعادله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية

العدد القادم : ملك العصابات